إعتقادات
فرق المسلمين والمشركين

للإمام

فخر الدين الرازى

ضبط وتحقيق

الأستاذ الدكتور

أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار

توفيق علي وهبة



الكتـــــــاب : **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**
المؤلـــــــف : فخر الدين الرازي
المقـــــاس : ١٧ X ٢٤
الطبعـــــــة : الأولي
عدد الصفحات : ٩٦
الناشـــــــر : دار الخلود للتراث
رقم الايـــداع : ٢٠٠٨/١٠٨٢٨

بطاقة فهرسة

الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، ١١٥٠- ١٢١٠
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - فخر الدين الرازي ، ضبط وتحقيق أحمد عبد الرحيم السايح ، توفيق علي وهبه - القاهرة : دار الخلود للتراث ، ٢٠٠٨
ص ؟ سم .
تدمك ٠ ٣٦ ٦١٧٧ ٩٧٧
الفرق الإسلامية ٢٤٥
الديانات المقارنة.
أ. السايح، أحمد عبد الرحيم (محقق)، ب : وهبه ، توفيق علي (محقق مشارك)
ج: العنوان

دار الخلود للتراث

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
☎ ٢٥٩١٩٧٢٦ - موبايل ٠١٨١٦٠٧١٨٥

إعتقادات
فرق المسلمين والمشركين

مقدمة

التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين. الذى دعا المؤمنين إلى أن يكونوا أمة واحدة. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. وعلى آله وصحبه.

أما بعد،،،

فإن الرازى علم من الأعلام. عاش معظم حياته فى القرن السادس الهجرى حيث ولد سنة ٥٤٣هـ وتوفى سنة ٦٠٦هـ.

وتلك الحقبة التى عاش فيها الرازى كانت جزءاً من دور الضعف والإنهيار الذى منيت به الأمة الإسلامية. نتيجة ضعف الخلافة آنذاك.

ومع ذلك . فإن هذا العصر كان من الناحية العلمية عصر النشاط والإنتاج. ولذلك برز عدد كبير من العلماء فى الفلسفة والتصوف والعلوم الإسلامية. كابن رشد والسهروردى وابن عربى، وسيف الدين الآمدى وغيرهم كثير.

ويبدو أن حاجة المجتمع إلى العلماء. جعلت دور العلماء بارزاً ومستمراً. حتى كان الإمام فى العقائد الأشعرية. شيخ الإسلام – الرازى وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على فخر الدين الرازى مولدا، الطبرستانى أصلاً، القرشى التميمى البكرى نسبا، الشافعى فقها، الأشعرى عقدياً.

كان شيخ الإسلام الإمام الرازى صاحب مؤلفات كثيرة فى علم الكلام والفلسفة والمنطق والجدل والأدب والبلاغة والنحو والفقه وأصول الفقه، والتفسير، والتاريخ والسير والطب والفراسة والتنجيم وغير ذلك من علوم ومعارف كما يتبين ذلك بالتفصيل فى التعريف به فيما سيلى :

وكتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » رغم صغر حجمه واختصار مادته إلا أنه من المصادر الهامة لكل الدارسين فى الفرق .

وهذا الكتاب يشير إلى سعة علم شيخ الإسلام الإمام الرازى فى الاطلاع على مذاهب الفرق المختلفة .

مما يدل على أنه ليس ناقلاً فيما يكتب . إنما غاص وراء المذاهب وعرف فرقها .

ولهذا جاء كتاب : « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » . ضرورة حياتية . حتى إذا تابع العلماء التعرف على الفرق أدركوا أن نشأة الفرق جاءت فى وقت مبكر .

وهذه الفرق سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية . فهى تعتمد على جذور ممتدة فى الأعماق .

لذلك كان كتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » له أهميته فى هذا الزمان . ليكون الناس على بينة من المذاهب والفرق . وقد قمنا بإعداد الكتاب بعد أن راجعناه على أكثر من مخطوط ومطبوع، واستطعنا أن نحرر المسائل التى جاءت فيه . لتعم الفائدة .

هذا وقد بدأنا الكتاب بباب تمهيدى . فى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعريف بالمذاهب الإسلامية وأسباب الاختلاف والدعوة إلى التقريب بينها لما يخدم وحدة الأمة الإسلامية .

الفصل الثانى : عن التعريف بشيخ الإسلام الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله .

الفصل الثالث : عن مؤلفات الإمام الرازى .

وبعد ذلك يأتى نص الكتاب المحقق

نسأل الله أن ينفع به إنه سميع قريب مجيب

المحققان

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار
توفيق علي وهبة

باب تمهيدى
الفصل الأول
تعريف بالمذاهب الإسلامية الكلامية
وأسباب اختلافها وضرورة التقريب بينها

بداية يحسن: أن أشير إلى أنه ليس من الكياسة أن نفهم من الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية الكلامية: التوفيق بين هذه المذاهب، وليس من الكياسة كذلك أن نفهم من التقريب: أن يتحول المعتزلى إلى أشعرى والإمامى إلى معتزلى، أو يتسنن شيعى أو يتشيع سنى.

كل ذلك ليس واردا، إنما المراد من التقريب: استثمار ما وصلت إليه المذاهب الإسلامية الكلامية، للوصول إلى انطلاقة الفكر الإسلامى وبيان أفقه وقدرة هذا الفكر، على التصدى والمواجهة لكل التيارات المناوئة للإسلام.

إذا التقريب أن يتحد أهل الإسلام، على أصول الإسلام، التى لا يكون المسلم مسلما إلا بها وأن ينظر الجميع فيها وراء ذلك نظرة من لا يبتغى الغلب، ولكن يبتغى الحق، والمعرفة الصحيحة.. «فنحن جميعًا نؤمن بالله ربًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً. والقرآن كتابًا، وبالكعبة قبلة وبيتًا محجوجًا، وبأنّ الإسلام مبنى على الخمس المعروفة. وبأنّه ليس بعده دين، ولا بعد رسوله نبى ولا رسول، وبأنّ كل ما جاء به محمد ﷺ وآله حق. فالساعة حق؛ والبعث حق؛ والجزاء فى الدار الآخرة حق، والجنّة حق،

والنار حق، وما اختلفنا فيه من شئ فحكمه إلى الله ورسوله. أى أنّنا متفقون على أسلوب الخلاف »[1]....

إذًا الأمّة الإسلامية - وإن اختلف فيها المدارس الفكرية - تملك أسسًا مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها، وتوحد كلمتها .. فهى أمّة واحدة، ذات دين واحد، وكتاب واحد، ورسول واحد. هذه هى الأصول الثابتة التى تشترك فيها الأمة. فإذا أدركتها جيداً، والتزمت بمقتضياتها، فإنّ ذلك يجعل منها أمة واحدة، تلتقى على: وحدة الغاية، ووحدة المنهج، ووحدة القيادة، ووحدة العقيدة.

ولا بأس من تناول هذه الأسس بإيجاز لتتضح المعالم المضيئة فى الطريق:

وحدة الغاية:

حيث أن المسلمين جميعًا يدركون غاية وجودهم فى هذه الحياة، وهى الطاعة الكاملة لله عزّ وجلّ. قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2]، وإدراك هذه الغاية أساس أصيل فى وحدة المسلمين.

وحدة المنهج:

وهذا المنهج الذى يجب اتباعه، هو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾[3] وليس لهذا المنهج إلاّ

---

(١) العلامة الشيخ محمد تقى القمى دعوة التقريب، تاريخ ووثائق، ص ٣٦،٣٧، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٤١٢ هـ ١٩٩١م.

(٢) [سورة الذاريات: آية ٥٦].

(٣) [سورة آل عمران: آية ١٠٣].

مصدر واحد . وهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذى وضعه للمسلمين: فإذا اتضحت هذه الحقيقة فى أذهان المسلمين، وأشرقت فى قلوبهم المؤمنة، تمثلوها فى واقعهم وسلوكهم.

وحدة الرسالة:

لقد شاء الله أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية فى الأرض، وأن يكون محمداً ﷺ آخر الرسل. فبه أكمل الله الدين، وبه ختم المرسلين. وهذه الحقيقة يجب أن تتضح فى أذهان المسلمين. إذ بقدر وضوحها والتزامهم بها، بقدر ما يتيسر للأمة الاجتماع..

وحدة العقيدة:

فالعقيدة هى الأساس الذى يرتفع عليه بناء الدين. فإذا قوى الأساس سهل على الأمة تصحيح أوضاعها، وأمكن لها الاجتماع واللقاء. وحين تكون العقى واضحة فى الأذهان مشرقة فى القلوب. تزول الحواجز التى: قامت بين الأمة[1].

فالحق كل الحق أنّه لا ضرر على المسلمين فى أن يختلفوا. فإنّ الاختلاف سنّة من سنن الاجتماع. ولكن الضرر فى أن يفضى بهم الخلاف إلى القطعية والخروج على مقتضى الأخوة التى أثبتها الله فى كتابه العزيز. لا على أنّها شئ يؤمر به المؤمنون. ولكن على أنّها حقيقة واقعة رضى اناس أم أبوا[2]، ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا**

---

(١) أحمد على الملا ومحمد بشير الزر، العقيدة الإسلامية، دراسة وتطبيق، ص ١١ – ١٨ط. دمشق ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٢) الشيخ محمد تقى القمى، نقط على الحروف، ص ٣٩ من كتاب: «دعوة التقريب».

اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

فالخلاف فيما يتعلق بالعقائد، لم يتجاوز الحد النظرى، ولا الاتجاه الفكرى. فإنّ العلماء الذين تصدّوا لهذا لم يجربينهم خلاف أدّى إلى امتشاق الحسام، وطبيعة حياتهم العلمية لا تسمح لهم بأن ينقلوا الخلاف من ميدان القول إلى ميدان العمل. ولم يكن الاختلاف النظرى ليصل فى حدته إلى أن يجعلوه عمليًا. ولم تظهر الحدة إلاّ فى أن يحكم كل واحد على الآخرين بالخطأ والابتداع..

ومهما يكن مقدار الخلاف النظرى فى العلوم الاعتقادية فإنّه لم يمس لب الإسلام، ولم يكن الاختلاف فيما علم من الدين بطريق قطعى، لا شك فيه، أو فى أصل من أصوله التى لا مجال لإنكارها، ولاتى تعد من أركان الإسلام التى يقوم عليها بناؤه[2]...

فالخلاف حول أوائل المقالات أو المعارف الكلامية. يجرى حول معارف إسلامية تبلور كثيراً من الحقائق، وتصقل العقول والأفهام، وتحدث باحتكاكها، ومبيضًا. يكشف سبل البحث، وطرائق الاستدلال. تلك هى خلافات المذاهب الإسلامية الكلامية. وهى فى باطنها تشير إلى الوحدة لا إلى الفرقة، وتنبئ عن الاجتماع، لا عن التشتت.

فلم يكن الاختلاف فى وحدانية الله تعالى، وشهادة أنّ محمداً رسول الله ﷺ، ولا فى أن القرآن نزل من عند الله العلى القدير، وأنّه معجزة النبى الكبرى، ولا فى أنّه يروى بطريق متواتر. نقلته الأجيال

(١) [سورة الحجرات: آية ١٠].

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلاميةص ١٧-١٨، ط. دار الفكر العربى، القاهرة.

الإسلامية، كلها جيلاً ولا فى أصول الفرائض كالصلوات الخمس والزكاة والحج والصوم، ولا فى طريق أداء هذه التكليفات . .

وبعبارة عامة : لم يكن الخلاف فى ركن من أركان الإسلام، ولا فى أمر علم من الدين بالضرورة، كتحريم الخمر، والخنزير، وأكل الميتة، والقواعد العامة للميراث . . وإنّما الاختلاف فى أمور لا تمس الأركان، ولا الأصول العامة.

إذن الخلاف خلاف فكرى، والخلاف الفكرى، مقبول ما دام فى دائرة معقولة . . والمعارف الكلامية ميدان من ميادين التفكير. للمسلم أن يجول فيه. والخلافات بين المذاهب الكلامية، تدل على الحرية الفكرية. إن أحْسِنَ النظر إليها تسعد الأمّة، وتكفل رقيها، وتبقى على سلامتها.

إنّ هذه الخلافات فى جوهرها تنبئ عن معنى الوفاق. فهى ترتبط بأصل واحد وهو الكتاب والسنّة.

ومدارس الفكر المختلفة داخل الإسلام، شئ طبيعى، مرغوب فيه، ليس منه بد، ما دام الإسلام دينًا حيًا لأحياء، لكى يزدادوا حياة . . والإسلام نفسه شحنة هائلة من النشاط العقلى، تأبى أن يتحوّل المسلمون إلى مجرد نسخ متطابقة، تتكرر باستمرار، وبلا اختلاف، من عقل واحد، أيًّا كان هذالعقل. حتى لا يهلك المسلمون من الأجداب، والرقابة، والركود، والشعور بالقدم.

وليس يرضى الإسلام أن تلد الأمّهات المسلمات إمعات مكررة معتمة، وإنّما يرضيه ويعليه إنجاب العقول اليقظة النشطة.

وبكل تأكيد ستظل المذاهب الكلامية، ومدارس الفكر فى الإسلام، توجد ما بقى للمسلمين حاجة إلى التعبير عن تراثهم العقلى، والروحى، وإلى استدامة الصلة بين أصول دينهم، وبين واقع الحياة. وليس من مصلحة الإسلام والمسلمين كبت النشاط العقلى والروحى داخل الإسلام. لأن من أجل ما يقدّمه المسلم لدينه أن يفكر فيه ويشعر به.

والإسلام يضعف ويصبح تراثًا جامدًا محنطًا إذا لم يفكر فيه، ويشعر به إلاّ الحمقى والجهلاء[1]...

ومن سبل التقريب بين المذاهب الإسلامية الكلامية: أن نعى دور العقل الإسلامى، ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى لفتت نظر الباحثين: هى الإشادة بالعقل، وتوجيه النظر إلى استخدامه، فيما يفيد، وينفع. فدعا القرآن بطريق مباشر وغير مباشر، إلى تقدير العقل، والرجوع إليه، فيما اختصّ به من تفكير.

ويحرص القرآن على تأكيد هذا المعنى، حتى أنّه ليكرر هذا فى الدعوة بشكل يلفت النظر، ويثير الاهتمام..

ويشير القرآن إلى العقل بمعانيه المختلفة، مستخدمًا لذلك كل الألفاظ التى تدل عليه، أو تشير إليه من قريب أو بعيد، من التفكر، والنظر، والتدبر، والرأى، والحكمة، والتذكر، والعلم، والفقه، والرشد، والبصر.. إلى غير ذلك من الألفاظ التى تدور حول الوظائف العقلية على اختلاف معانيها، وخصائصها، وظلالها. مما يعتبر إيحاءات قوية، بدور العقل وأهميته.

(١) محمد عبد الله محمد المحامى، معالم التقريب، ص ٦٢ من كتاب دعوة التقريب، تاريخ ووثائق، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤١٢هـ.

والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلاّ فى مقام التعظيم، والتنبيه إلى وجود العمل به، والرجوع إليه، ولا تأتى الإشارة إليه عارضة، ولا مقتضبة فى سياق الآية. بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها، مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة. ولا يأتى تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه. بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص فى مواطن الخطاب ومناسباته. فلا ينحصر خطاب العقل منها فى العقل الوازع، ولا فى العقل المدرك، ولا فى العقل الذى يناط به التأمّل الصادق والحكم الصحيح. بل يضم الخطاب فى الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنسانى من خاصة أو وظيفة..

ومن خصائص العقل أنّه ملكة الإدرك التى يناط بها الحكم والتصور.

ومن خصائص العقل أيضًا أنّه يتأمّل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه، ويستخرج منه بواطنه وأسراره، ويبنى عليها نتائجه وأحكامه. وهذه الخصائص فى جملتها تجمعها ملكة «الحكيم».

ومن أعلى خصائص العقل الإنسانى «الرشد» وهو مقابل لتمام التكوين فى العقل الرشيد..

وفريضة التفكير فى القرآن الكريم تشمل العقل الإنسانى بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولتها. لأن الكتاب الذى ميّز الإنسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذى أمتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته، وكل وظيفة عرفها له العقلاء والمتعقلون.

والعقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يدرك الحقائق، ويوازن بين الأضداد ويتبصر ويتدبر(١).

فالإسلام هو الدين الذى أعلى من شأن العقل وعده أداة صالحة لتعرف الحقائق، وفى رأسها الإيمان بالله، وقدرته، ووحدانيته، وهو الدين طلب من الإنسان، أن ينطلق إلى الإيمان من الدليل والبرهان.

ولذلك دعا إلى إعمال العقل والتفكير به، وذم الذين يهملون عقرلهم، ويعطلون نعمة الله فيهم، ويلوذون بتبعية أو تقليد، من غير تفكير، ولا نظر.

وانك لتجد ذلك واضحا فى الأمور التالية:

أولاً: لقد طلب القرآن الكريم من الإنسان أن يفكر فيما يدعى إليه، إمّا منفرداً بنفسه، وإمّا مجتمعًا مع أناس آخرين. قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾**(٢).

ثانيًا: لقد امتدح القرآن الكريم المفكرين، ووصفهم بأنّهم هم أرباب العقول: قال تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**(٣).

---

(١) عباس العقاد، التفكير فريضة إسلامية ص ١٢٠.

(٢) [سورة سبأ: آية ٤٦].

(٣) [سورة آل عمران: آية ١٩٠، ١٩١].

ثالثا : لقد عد القرآن الكريم الذى يلا يفكرون فيما يلقى إليهم ولا يعلمون فيه عقولهم، عدهم كالبهائم. قال تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ﴾(١).

﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾(٢).

رابعا : لقد ذم القرآن الكريم التقليد الأعمى. وهو أن تتبع غيرك من غير وعى، ولا تفكير. فقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ** ﴾(٣).

خامسا : لقدب نهى القرآن الكريم الإنسان أن يتبع شيئا ويؤمن به، من غير أن يكون له على صحته دليل ساطع، وبرهان مقنع، يصل إلى درجةالعلم اليقين. قال الله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾(٤).

ولما كان العقل له فى الإسلام هذه العناية الفائقة من التقدير، فقد

---

(١) [سورة البقرة : آية ١٧١].

(٢) [سورة الأعراف : آية ١٧٩].

(٣) [سورة البقرة : آية ١٧٠].

(٤) [سورة الإسراء : آية ٣٦]، وراجع فى هذا الدكتور / أحمد على الملا، ومحمد بشير، العقيدة الإسلامية، ص ١١٠، ١١١.

اتخذ له الإسلام منهجا فريدا فى تحريره، ليظل العقل عاقلا، والفكر راشدا. وهذا المنهج يقوم على دعامتين أساسيتين، من شأنهما حراسة العقل، وترشيد الفكر.

وأول دعائم المنهج الإسلامى فى تحرير العقل، هو تحرير الإنسان من أغلال الحجر العقلى، وسيطرة التبعية العمياء، حتى يقوم العقل على حرية الفكر، واستقلال الإرادة. ليكمل ذلك العقل، ويستقيم التفكير..

والدعامة الثانية فى المنهج الرسلامى، هى تحرير الإنسان من أصفاد الجهل وظلمته. لأن الجهل يقتل مواهب الفكر، والنظر، ويطفئ نور القلوب، ويعمى البصائر، ويميت عناصر الحياة والقوة فى الأفراد، والجماعات، والأمم، ويفسد على الناس مناهة الأستقامة[1].

فالمنهج العقلى كتيار فكرى، ومنهج عقلى كان لابد من ظهوره وذلك لمواجهة التحديات الفكرية التى لا قاها الإسلام عندما امتد سلطانه، وعندما أشتد الصراع الفكرى بينه وبين أصحاب الأديان الأخرى، من يهود، ونصارى، ومانويين، وزراد شتيين، وصابئة ودهريين. لقد فتح الإسلام كقوة سياسية أرض الديانات القديمة، وأثبت كيانه فيها. إلا أن الإسلام كتصور روحى خاص استمر يناضل فكريا أهل الإديان، والعقائد المختلفة، لمدة طويلة اشتبك خلالها المخلصون – أصحاب العقليات – فى حرب ضروس مع أصحاب الأهواء والبدع من الزنادقة والدهرية، والمشبهة، والحلولية مثل فيها المفكرون المسلمون معارضة فكرية

---

(١) الدكتور أحمد السايح، المعرفة فى الإسلام، ص ٣٤،٣٥ط. القاهرة ١٤٠٠هـ.

قوية، صانوا فيها البناء الروحى والفكرى للإسلام من خطر تلك الآراء التى أرادت أن تشوه صفاء العقيدة الإسلامية.

والإمة الإسلامية فى «عقلانيتها» التى انطلقت من دعوة القرآن لم ترفض الوحى، ولم تتنكر للنص المأثور، وأيضا فهى لم تقف لتتعبد بالنص المأثور دون وعى، وإنما وازنت بين العقل والنقل، ووفقت بين الحكمة والشريعة، وحكمت العقل، ولجأت الى التأويل عند لاح التعارض بين ظواهر النصوص، وبين براهين العقل(١).

فليس من مصلحة المسلم ترك الضحالة، والمحاكاة، والرتابة، والآلية، وتطمر أعماقه وتأكل إرادته...

ومن سبل التقريب: أن ندرك أن الخلاف، والاختلاف، ضرورى؛ لأن ورود المتشابه فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾(٢) كان سببا فى اختلاف العلماء، فى مواضع المتشابهات من القرآن. وحاول كثيرون من ذوى الأفهام تأويله، والوصول إلى إدراك حقيقة معناه، فاختلفوا فى التأويل اختلافا بينا(٣). لأنهم لم

---

(١) الدكتور محمد عماره، تيارات الفكر الإسلامى، ص٦، ط. دار المستقبل العربى، القاهرة، ١٩٨٣م.

(٢) [سورة آل عمران: آية ٧].

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامى، ص ١٥، ط. دار الفكر العربى، القاهرة.

يقنعوا بالإيمان بالمتشابهات جملة من غير تفصيل فجمعوا الآيات التى قد يظهر بينها خلاف، وسلطوا عليها عقولهم. فأداهم النظر فى كل مسألة إلى رأى. فإذا وصلوا إليه، عمدوا إلى الآيات التى يظهر لهم أنها تخالف الأولى فأولوها. فكان التأويل طريقا من طرق النظر العقلى. وطبيعى أن هذا المنحى فى التأويل، وإعطاء العقل حريته فى البحث والنظر يستلزم تعدد المذاهب[١].

ويقول ابن خلدون: «إنه توجد فى القرآن آيات متشابهة، يلتبس معناها على القارئ. لذلك نشأ خلاف فى تفاصيل العقائد، أكثر مثارها من الآيات المتشابهة. فدعا ذلك إلى الخصام، والتناظر، والاستدلال بالعقل»[٢].

* فالعلماء لم يختلفوا على تنزيل القرآن، وإنما اختلفوا على تأويله أى أنهم – كما يقول الزمخشرى – متفقون على نصه، ولكنهم مختلفون فى تفسيره فالقرآن فيه محكم ومتشابه. ولو كان القرآن كله محكما لتعلق الناس به السهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجونه فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولارتكنوا إلى طريقة التقليد. إن وجود متشابه الآيات، أدعى إلى أن يشحذوا الفكر للإستنباط، ويكدوا فى معرفة الحق خواطرهم، وأتعابهم القرائح فى استخراج معانيه. وما فى رد الآيات المتشابهة إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم الجمة، ونيل

---

(١) أحمد على الملا، ومحمد بشير الزر، العقيدة الإسلامية، ص ١٢٣، ط. دار الكتاب العربى، دمشق ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ١٢٠ط. بيروت.

الدرجات عند الله(٢٢).

ويعلق الدكتور أحمد محمود صبحى، على ما ذكره الزمخشرى فيقول: وهكذا ألمح الزمخشرى إلى عامل من أهم عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية عقب قيام الإسلام إذا ألزم القرآن المسلمين بما غمض من معانى آياته وبمحكمه وبمتشابهه: البحث، والنظر، والتفكير، والاستنباط، ولو كان سهل المأخذ، يسير الفهم لكانت السطحية التى تغرى بالتقليد والجمود، فالاختلاف قرين حرية الرأى والتفكير(٢٣).

والتأويل - كمنهج عقلى - يقصد منه إبعاد التصورات التى لا تليق بالألوهية وكوسيلة للتقريب، والتوفيق بين العقائد الدينية التى تثبت بالوحى وبين مقتضيات العقل - ظاهرة دينية.

والتأويل كمنهج عقلى يرتبط تاريخيا بالمعتزل الذين أيقنوا من أن أبعاد التصورات والصفات والأحوال التى لا تتفق وطبيعة الألوهية لا يكون إلا عن طريق تأويلها مجازيا.

فقد وجدوا فى القرآن الكريم، والحديث النبوى نصوصا إذا أخذت حرفيا، أدت إلى التشبيه التجسيم، وما يكون من ذلك من الصفات والعواطف والإحساسات البشرية. وإذا ثبت عندهم بالدليل العقلى أن الله تعالى منزه عن الجسمية والجهة. قالوا لابد من صرف هذه الصفات عن

---

(٢٢) الزمخشرى، الكشاف ج١ ص٢٢٠.

(٢٣) الدكتور أحمد محمود صبحى، فى علم الكلام، ص ٢٤، ٢٥، ط. مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ١٩٧٨م.

معانيها الظاهرية الحرفية إلى معان أخرى مجازية لئلا يكون ذلك سببا فى الطعن فى هذه النصوص.

واستعانوا فى هذه السبل الوعرة والشاقة، بالقرآن نفسه فى آيات أخرى، وبلغة القرآن يجدون فيها ما يساعدهم فى تقرير المعانى التى يرونها(١).

والباحث فى كتب التفاسير والفرق: يجد أن المعتزلة لم يأتوا بما أتوا به من صرف آيات الصفات عن معانيها الظاهرية الحرفية إلى معان أخرى مجازية من فراغ. وإنما مهد لهم رجال من السلف، عاشوا فى القرن الأول الهجرى، أمثال «مجاهد المكى» وعطية الكوفى أو العوفى، وغيرهما من رجال السلف. فقد قاموا بمحاولات فكرية لتفسير المتشابهات تفسيرا مجازيا له مبرراته فى اشتقاقات اللغة العربية وأصولها(٢).

يروى عن مجاهد المكى المحدث والمفسر المشهور: أنه كان من أوائل من قرأ الآية الكريمة: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ ﴾ من غير توقف، فاتحا بذلك باب التأويل لمن جاء بعده(٣).

أما المعتزلة فقد جاهدوا من أجل جعل التأويل المجازى منهجا عاما منسقا لأنهم أدركوا كما أدرك غيرهم من علماء الكلام فى الأديان

---

(١) الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية، ص ٩٨، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م بيروت.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٣) [سورة آل عمران: آية ٧]، الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات فى الفرق والعقائد الإسلامية ص ٢١٨.

الأخرى – أنه لا سبيل للقضاء على التشبيه كفكرة إلا إذا صرفت الصفات الخبرية الواردة فى المتشابهات، عن ظواهرها إلى معان أخرى، مجازية مستساغة، من غير إخلال بقواعد اللغة العربية وخصائصها..

ويذكر العلماء: أنه رغم ما فى التأويل الاعتزالى أحيانا من تعسف وإفراط، ومحاولات لجعل النص القرآنى دليلا على صحة آرائهم الدينية، والمذهبية، التى آمنوا بها، إلا أن العمل الذى بؤوه كان السلاح الوحيد للقضاء على التشبيه والمشبهة؛ وقد أخذ به مع تعديلات وإضافات عامة المسلمين من شيعة وأهل سنة، ما تريدية وأشاعرة[١].

وفى ذلك يقول الإمام الرازى: «جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لابد من التأويل فى بعض ظواهر القرآن والأخبار»[٢]. والباحث فى أعماق التراث الإسلامى الأولى، يجد أن مشكلة التشبيه ظهرت فى الفكر الإسلامى، فى نهاية القرن الأول الهجرى. وسبب ظهور المشكلة يعود إلى سبب داخلى، ومن ذات الإسلام نفسه، لوجود مجموعة من الآيات والأحاديث، تضيف إليه تعالى، صفات خبرية، تشير إذا فسرت حرفيا إلى التشبيه والتجسيم، وما يكون من ذلك من الصفات والعواطف، والإحساسات البشرية[٣] والآيات والأحاديث التى ورد فيها ذكر الصفات الخبرية مثل: ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[٤]، ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[٥]

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٢) فخر الدين الرازى، أساس التقديس، ص ١٨٠، ط. البابى الحلبى بمصر.

(٣) الدكتور عرفان عبد الحميد، دراسات فى الفروق والعقائد الإسلامية، ص ٢٠٣–٢٠٤.

(٤) [سورة الفتح: آية ١٠].

(٥) [سورة المائدة: آية ٦٤].

و﴿ مَا مَنَعَكَ أن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(١) و﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾(٢).

* ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾(٣) و﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾(٤).

* ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾(٥) و﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(٦).

* ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾(٧) و﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾(٨) و﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(٩).

* ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾(١٠) و﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾(١١) و﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(١٢).

* ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾(١٣) و﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾(١٤).

* قال الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا كان الثلث الآخير من الليل نزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من داع فأستجيب له، هل من

---

(١) [سورة ص: آية ٧٥].
(٢) [سورة الزمر: آية ٦٧].
(٣) [سورة القلم: آية ٤٢].
(٤) [سورة القيامة: آية ٢٩].
(٥) [سورة الرحمن: آية ٢٦، ٢٧].
(٦) [سورة البقرة: آية ١١٥].
(٧) [سورة القلم: آية ١٤].
(٨) [سورة طه: آية ٣٩].
(٩) [سورة الطور: آية ٤٨].
(١٠) [سورة طه: آية ٥].
(١١) [سورة الأعراف: آية ٥٤].
(١٢) [سورة الحاقة: آية ١٧].
(١٣) [سورة الفجر: آية ٢٢].
(١٤) [سورة البقرة: آية ٢١٠].

تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له»[١].

وبعد ظهور الإمامين أبى الحسن الأشعرى (ت٣٢٤هـ) وأبى منصور الماتريدى السمرقندى (ت٣٣١هـ) أخذ المتكلمة من أشاعرة وماتريدية، بالتأويلات المجازية، متبعين فى ذلك الاسلوب الذى بدأه المعتزلة من قبل[٢].

لقد كان هناك المشبهة والمجسمة الذين يثبتون كل ما جاء فى القرآن الكريم من فوقية، وتحتية، واستواء على العرش، ووجه، ويد، ومحبة، وبغض. وما جاء فى السنة من ذلك من غير تأويل وبالظاهر الحرفى ممن تمسّكوا بإثبات الظاهر. فصاروا يتهمون من قبل الأشاعرة بالتشبيه والتجسيم. وممّن هؤلاء أبو الحسن الزاغونى، والقاضى محمد بن الحسين أبو يعلى، وأبو عامر القرشي[٣] الذى اشتهر عنه وهو يفسر قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾**[٤] أراد أن يدفع بحمية بالغة التفسير المجازى فضرب على ساقه وقال: ساق حقيقية شبيهة تماماً بهذه وأشار إلى ساقه»[٥].

وسبب انتشار دعوى كهذه قصور كثير من الناس عن تفسير متشابهات القرآن وتمييز وجوه أمثالها ومجازاتها الرائعة عند العرب. لذا

---

(١) أنظر الدكتور عرفان عبد الحميد. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٧.

(٣) راجع فى هذا ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب ج٤ / ص٨ وج٣ ص ٣٠٦ وج٤ ص٧، وبان الجوزى. المنتظم ج١ص٣٢، والخطيب البغدادى، تاريخ بغداد ج٢ص٢٥٦.

(٤) [سورة القلم: آية ٤٢].

(٥) جولد زيهر، العقيدة والشريعة فى الإسلام، ص ١٠٩.

تصدى لهؤلاء وأمثالهم فى القرن السادس الهجرى الإمام الفقيه الحنبلى الخطيب ابن الجوزى، فصنف فى الرد عليهم رسالته الموسومة بـ « دفع شبهة التشبيه » ويقول فيها: « رأيت من أصحابنا من تكلم فى الأصول بما لا يصلح.. فصنفوا كتبًا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أنّ الله خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات، وفما، ولهوات، وأضراسًا، وأضواء لوجهه، ويدين، وأصبعين، وكفًا، وخنصرًا، وإبهامًا وصدرًا، وفخذًا، وساقين، ورجلين. وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة. ولا دليل لهم فى ذلك من النقل، ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من صفات الحدوث. ولم يقتنعوا أن يقولوا صفة فعل، حتى قالوا صفة ذات. ثم لما أثبتوا أنّها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة. مثل يد على نعمة وقدرة، ولا مجئ وإتيان على معانى بر ولطف، ولا ساق على شدة. بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة. والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين. والشئ إنّما يحمل على حقيقته إن أمكن. فإن صرف صارف حمل على المجاز. ثم يتحرجون من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم. ويقولون نحن أهل السنّة، وكلامهم صريح فى التشبيه. وقد تبعهم خلق من العوام. وقد نصحت التابع والمتبوع وقلت يا أصحابنا: أنتم أصحاب وأتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل. فإيّاكم أن تبتدعوا من مذهبه ما ليس منه.

ثم قلتم: الأحاديث تحمل على ظاهرها. فظاهر القدم الجارحة ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه مجرى الحسيات. وينبغى ألاّ يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل. فإنّا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم فلو أنّكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر أحد عليكم. إنّما حملكم إيّاه على الظاهر قبيح. فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل السلفى ما ليس فيه »(١).

وإذا كان المعتزلة والأشاعرة والخطيب ابن الجوزى الحنبلى يؤلون فإنّ الشيعة الإمامية يفسرون الأسماء والصفات بالقرآن. يقول الشيخ المفيد فى قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾(٢) « وأمّا لفظة « استوى » وهى التى جعلت الآية من المتشابهات عند القوم فمعناها: التمكن التام، والاستيلاء الكامل. بدليل ما يظهر من آية: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾(٣) أى تمكنت وآية: ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾(٤) أى تمكن واستقام. وآية: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا ﴾(٥) فالاستواء فيهن بمعنى التمكن التام دون الجلوس كما زعمت المشبهة. وكثير فى محاورات العرب استعمال « استوى » بمعنى التمكن التام، والاقتدار الكامل. كقول بعيث الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

---

(١) ابن الجوزى، دفع شبهة التشبيه، ص ٨، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، ط. دمشق ١٩٣٣م.
(٢) [سورة طه: آية ٥].
(٣) [سورة المؤمنون: آية ٢٨].
(٤) [سورة الفتح: آية ٢٩].
(٥) [سورة القصص: آية ١٤].

يريد تمكنه التام. غير أننا نتوخى على الدوام تفسير القرآن بالقرآن، والاهتداء منه إليه. وقد دلنا على معنى الاستواء.. أن الله سبحانه قد ظهر من خلقه للسموات والأرض تمكنه التام، واقتداره الكامل على عالم الأرواح. أى دائرة ملكه الخاص به، والمهيمنة على عالم الأجسام. ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية[1]: ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ** ﴾[2] مشيرا إلى أنه استوى قبل كل شئ، على عالم الملكوت والأرواح. ثم تمكن بذلك من تملك عالم الناسوت والأجرام[3].

وإذا تناولنا موضوع «كشف الساق» — الذى قال فيه المشبهة «ساق حقيقية شبيهة تماما بهذه، وأشار — أحدهم — إلى ساقه»[4] نجد الشيخ أبو جعفر القمى ليقول فى «رسالة اعتقاداته»: الساق فى قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ** ﴾: الساق وجه الأمر وشدته[5]. ويقول الشيخ المفيد: «يريد بالساق يوم القيامة، ينكشف فيه عن أمر شديد، صعب، عظيم. وهو الحساب والمداقة على الأعمال والجزاء على الأفعال، وظهور السرائر، وانكشاف البواطن، والمداقة «والموافقة» على الحسنات والسيئات. فعبر بالساق عن الشدة. ولذلك قالت العرب فيما عبرت به

(١) [سورة طه: آية ٦].
(٢) [سورة طه: آية ٦].
(٣) الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق، ص٢٢٣،ط. المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٩٣هـ١٩٧٣م.
(٤) جولد زيهر، العقيدة والشريعة فى الإسلام ص ١٠٩.
(٥) الشيخ أبو جعفر القمى، تصحيح الاعتقاد، ص ١٨٦، ط. المطبعة الحيدية، النجف ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

عن شدة الحرب وصعوبتها: قامت الحرب بنا على ساق. وقال شاعرهم سعد بن خالد:

كشفت لهم عن ساقها وبدى من الشر الصراح
وبدت عقاب الموت يخفق تحتها الأجل المتاح

ومن ذلك قولهم: قد قامت السوق إذا ازدحم أهلها، واشتد أمرها بالمبايعة والمشاورات، ووقع الجد فى ذلك والاجتهاد[١].

إن انطلاقة علماء المذاهب الإسلامية، كانت من القرآن الكريم، والقرآن كان رائدهم فيما ذهبوا إليه. وكما قال الأنبارى: «إن القرآن يدل على الإختلاف. فالقول بالقدر صحيح وله أصل فى الكتاب. والقول بالإجبار صحيح، وله أصل فى الكتاب، فمن قال بهذا مصيب. ومن قال بهذا مصيب»[٢].

وقد ساعد المجاز علماء المذاهب الكلامية قول كثير من الآراء، ويحدد أبن قتيبة جوانب المجاز فيما يلى: «الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والإيضاح، ومخاطبة الجميع، والجمع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء أخرى كثيرة»[٣].

---

(١) الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق، ص ١٨٧، ١٨٨.
(٢) ابن قتيبة، تاويل مختلف الحديث، ص ٤٦، ط. بيروت ١٩٨٢م.
(٣) ابن قتيبة، تاويل مشكل القرآن، ص ٢٠، ٢١ط. دار التراث بالقاهرة ١٩٧٣م.

وإذا كـان الاخـتـلاف يخـتـرق جـمـيع الأمم والملل المعـروفـة. فـإن للاختلاف الذى وقع (بين المذاهب الكلامية) بنيته الأصلية المستمدة من خصوصية النص القرآنى، والحدث البيانى..

ونعنى بالخصوصية هنا ما منح النص القرآنى، وما امتاز به على سائر النصوص، فالخطاب القرآنى كلام تتسع معانيه، وتتعدد وجوه الدلالة فيه..

إنه كلام لا يمكن استقصاء معانيه أو حصر دلالاته. يقول الزركشى: « معانى القرآن لا تستقصى، ولا نهاية لفهم كلام الله »[1] ولا يمكن لأحد أن يقبض عليه، أو يفوز بحقيقته. من هنا تباين التفاسير والتأويلات، واختلاف الطرق، والمذاهب، وتعدد الفرق، والمقالات[2].

إذن نحن إنما نحتاج إلى أول ما نحتاج إلى الإعلان عن « حق الاختلاف » الذى هو حق من حقوق الإنسان، إن لم يكن أبرزها، حتى يكون اختلاف الأخر عن الأنا أمرا لا جدال فيه أى حتى يتم قبول كل فريق بالفريق الآخر. وكما هو فى معتقده ومذهبه.

وما دمنا لم نصل إلى الوحدة بعدم اعترافنا بحق الغير، فالأولى أن نعترف بذلك. فإن وحدة تحاول أن تستتبع الأخر، أو تلحقه، أو تقهره، وتستبد به، لن تعمر طويلا. إذ سرعان ما يتصدع البناء. كذلك فإن الخطاب الذى لا يزيد عن تكرار أجوف لهوية فاقدة لمقوماتها، لن يصنع وحدة قط.

---

(١) الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، ج١ ص٥، ٩ط. دار المعرفة، بيروت.

(٢) راجع على حرب، الاختلاف. مجلة منبر الحوار، ع ١٢ص١٢، بيروت ١٤٠٩هـ.

هكذا ينبغي للجميع أن يكتبوا ببيان الاختلاف، معترفين ببعضهم مقرين، بأن الواحد هو شطر الأخر، وبأن العقائد والمذاهب هي وجوه لحقيقة واحدة.. والاعتراف بحق الغير، وبأن له حقيقته وقسطه من الوجود يتطلب ذهنا مفتوحا، وعقلا نيرا(١).

ولا يخفى اننا إذا نجحنا معتزلة وأشعرية، وإمامية، وحنابلة، في الإقرار بالاختلاف، وأنه ضرورة من ضرورات الحياة. استطعنا أن نبدأ في الطريق وحسب الأمة أن تستثمر اللقاء على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلما إلا بها. ثم تعي بعد ذلك دور العقل الإسلامي وانطلاقاته، وتدرك في وضوح أن الخلاف والاختلاف ضرورة حياتية وحضارية. والأمة الإسلامية كانت وما زالت تملك رصيدا ضخما من الأصول والقواعد يمكن الأمة من تنمية فلسفتها الخاصة بها، والتي تجمع شملها، وتوحد صفوفها. وقد أتم الله على الأمة وحدة الأصل الإنساني، ووحدة العقيدة، ووحدة المصدر، ووحدة الشعور، ووحدة الصف، ووحدة العبادات...

---

(١) الأستاذ على حرب، منبر الحوار، عدد ١٢ص ٢٥، ٢٦، بتصرف.

الفصل الثانى

التعريف بالإمام

فخـر الـديـن الـرازي

هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي بن الرازي – قرشى النسب، طبرستاني الأصل، رازي المولد من ذرية أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

كان مولده في مدينة الري، وهي العاصمة الكبرى في القرن السادس الهجري لبلاد العراق العجمي، شرقى سلسلة الجبال الإيرانية الكبرى.

وقد ولد في سنة ٥٤٣ هـ وقيل سنة ٥٤٤ هـ على ما ذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية، وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان كانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٤٤ هـ فالسبكي يرى أنه ولد سنة ٥٤٣ هـ بينما الراجح عن ابن خلكان عام ٥٤٤ هـ وهو معروف بتحرى الدقة فقد ذكر اليوم والشهر.

وقد أشاد جميع المؤرخين بما لهذه المدينة من شأن عظيم بوصفها مركزا تجاريا وعلميًا، وعدها بعضهم مفخرة من مفاخر الإسلام، وكان والده ضياء الدين عمر من كبار علماء الرى وخاصة في الفقه والأصول، وعنه أخذ فخر الدين أول ما أخذ من العلم.

ولقد نشطت الحركة العلمية بالبلاد الفارسية خلال القرن السادس،

وتنوعت العلوم، وكثرت التصانيف في شتى الفنون، ولعل أهم تراث اسلامي ظهر وفرة وجودة كان في هذا العصر الذي عاشه الرازي والذي سبقه ومهد له. فازدهرت العلوم الرياضية والطبيعة والفلسفية وسواها، كما شاع التنجيم. ومن الناحية الفنية ظهر التصوير والخط والتذهيب والزخرفة بأنواعها.

وقد أفاد الإمام الرازي من مختلف هذه الثقافات واتصل بها اتصالا مباشراً، حتى انعكست على شخصيته العلمية وطبعتها بالطابع الموسوعي: فكان الأديب والشاعر والفقيه والحكم والفيلسوف والطبيب والمفسر، وحظي بأعلى المراتب وأسماها لدى كثير من ملوك زمانه ورجالهم المرموقين(١).

ولقد وقف حياته على الدفاع عن الإسلام فجابه كثيراً من الفرق والطوائف من غير أهل السنة والجماعة فجادل الكرامية والمعتزلة والحنابلة وأفلح في أرجاع الكثير من طائفة الكرامية وغيرهم ممن كانوا ينشرون ألوانا من الإفك والزيغ إلى الجادة واتباع مذهب أهل السنة والجماعة(٢).

ويشير ظهور فخر الدين الرازي (٥٤٣ - ٦٠٦ هـ / ١١٤٩ - ١٢٠٩م) في تاريخ الثقافة الإسلامية - إلى مرحلة اكتمال منهجها ووضوحه، فقد أفاد الرازي من الثقافة التى شكلت بنية ثقافة الإسلام عن

---

(١) فخر الدين الرازي حياته وآثاره - د علي حسن العماري ص ١٩ - القاهرة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م. والرازي من خلال تفسيره - عبد العزيز المجدوب ص ٢٩ تونس ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي تحقيق د. علي سامي النشار.

طريق اللغتين الإسلاميتين العربية والفارسية، فصدر عنها في تآليفه المختلفة، وهى وإن تناولت أغلب فروع المعرفة إلا أنها تتميز بالدرجة الأولى بطابعها الحكمى الفلسفى الذى يتخلى فيه استخدام الفخر للمنهج الاستقرائى والاستدلالي، فلم يكن الرازي «موسوعيًا» يعرض فى دفة المادة التى وقف عليها سواء انتسبت لخصومه أو للمدرسة الفكرية التى ينتمى إليها فقط. بل كان إلى ذلك الباحث الثبت، الكلف بالتحليل والتعليل، والمصيب لب الموضوع مهما يكن تشعبه وخفاء مسالكه.

وقد أغرب جانبه الموسوعي الذى يتبدى في تفسيره إلى القول بأنه يوجد في تفسيره كل شيء وسبب ذلك أنه اسقط الحواجز بين فروع المعرفة باعتبارها متآلفة تزكى جميعًا معرفة الإنسان وتكون المنهج الأمثل لثقافة الإسلام[1].

لم يكن الرازي فيلسوفًا ولا متكلمًا فقط بل كان حكيما جمع فوعي فاستطاع أن يخضع الفلسفة الوضعية إلى الشريعة السماوية، ويذلل الحكمة الماورائية والتجريبية لخدمة القرآن بعد أن كان الفلاسفة والمتكلمون السابقون يفتعلون التأويلات والتكلفات في بحوثهم ومؤلفاتهم.

فقد تبخر الرازي في سائر العلوم، وأتقن جميعها تقريبًا، وبلغ في الكثير منها منزلة الاجتهاد والتفوق. لذلك فهو يسلك مسلك الشمول

---

(١) على الشابي – تقديم كتاب الرازي من خلال تفسيره تاليف عبد العريز المجدوب الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس ص ٩ ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

في تفسيره حتى سمى منهجه بالمنهج الموسوعي. فالتوسع هو ميدان اختصاصه، وهو ميزة عمله[١].

فالرازي عالم متبحر في شتى فروع العلم والمعرفة، وكان صوفيا، وكان تقيا ورعا ﴿ **ولا تزكى على الله أحدا** ﴾ ولقد أخذنا ذلك من وصيته التي أوصى بها في مرضه الأخير وقبيل وفاته، (وقد جاءت هذه الوصية في كتاب (عيون الأنباء). قال فيها:—

وَصيـــّـةُ الـــرّازىْ

وقد أملى الرازي هذه الوصية على تلميذه ابراهيم أبى بكر الأصفهانى بين فيها رأيه في نفسه وفي عمله وفي عقيدته فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وهو في آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلى مولاه كل آبق.

إني أحمد الله تعالى بالمحامد التى ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه، في أكمل أوقات مشاهداتهم، بل أقول: كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان، فأحمده بالمحامد التى تستحقها ألوهيته، ويستوجبها لكمال الألوهية؛ عرفتها، أو لم أعرفها،

---

(١) المرجع السابق – المقدمة ص ١١ – ١٣

لأنه لا مناسبة للتراب، مع جلال رب الأرباب، وأصلى على الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين.

ثم أقول بعد ذلك:

اعلموا إخواني في الدين، وإخواني في طلب اليقين أن الناس يقولون: الإنسان إذا مات انقطع تعلقه عن الخلق.

وهذا العام مخصوص من وجهين:

(الأول) أنه إن بقى منه عمل صالح صار ذلك سببًا للدعاء، والدعاء له أثر عند الله.

(الثاني) ما يتعلق بمصالح الأطفال والأولاد والعورات، وأداء المظالم والجنايات.

أما الأول فاعلموا أني كنت رجلاً محبًا للعلم فكنت أكتب في كل شيء لا أقف على كمية وكيفية، سواء كان حقًا أو باطلاً، أو غثًا أو سمينًا، إلا أن الذى نظرته في الكتب المعتبرة لي أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والأعراض، موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كلما

ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذاك هو الذي أقول به، وألقى الله تعالى به.

وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد، فهو كما هو، والذى لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إنى أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فلك ما مرَّ به قلمى، أو خطر ببالي، فأستشهد علمك، وأقول: إن علمت منى أنى أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت منى أنى ما سعيت إلا في تقرير ما أعتقدت أنه هو الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدى لا مع حاصلى، فذاك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع فى الزلة فأغثنى وارحمنى، واستر زلتى، وامح حوبتى، يامن لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينتقص بخطأ المجرمين.

وأقول: دينى متابعة محمد سيد المرسلين، وكتابى هو القرآن العظيم. وتعويلى في طلب الدين عليهما.

اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات. ويا راحم العبرات، ويا قيام المحدثات والممكنات. أنا كنت حسن الظن بك. عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: أنا عند ظن عبدى بى،

وأنت قلت : [**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**]، وأنت قلت : [**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**] .

فهب أني ما جئت بشئ فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم. واعلم أنه ليس لي أحد سواك، ولا أجد محسنًا سواك، وأنا معترف بالزلة والقصور والعيب والفتور، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي.

واجعلني آمنًا من عذابك قبل الموت، وعند الموت، وبعد الموت، وسهل عليّ سكرات الموت، وخفف عني نزول الموت، ولا تضيق عليّ بسبب الآلام والأسقام. فأنت أرحم الراحمين.

(وأما) الكتب العلمية التي صنفتها . أو أستكثرت من إيرادات السؤالات على المتقدمين فيها . فمن نظر في شئ منها . فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه، على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السئ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وتشحيذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله تعالى.

(وأما) المهم الثاني، وهو إصلاح أمر الأطفال والعورات فالاعتماد فيه على الله تعالى، ثم على نائب الله (محمد) .

اللهم اجعله قرين (محمد) الأكبر في الدين والعلو.

[ثم فوض وصاية أولاده إلى واحد ممن يثق فيهم] .

ثم قال :



وأمرته وأمرت تلامذتى، وكل من لى عليه حق، أنى إذا مت يبالغون في إخفاء موتي، ولا يخبرون أحداً به، ويكفنونى، ويدفنوني على شرط الشرع، ويحملونى إلى الجبل المصاقب لقرية (مرداخان) ويدفنونى هناك.

وإذا وضعونى في اللحد قرءوا عليّ ما قدروا عليه من إلهيات القرآن(١)، ثم ينثرون التراب عليّ.

وبعد الإتمام يقولون: يا كريم. جاءك الفقير المحتاج، فأحسن إليه.

وهذا منتهى وصيتى في هذا الباب، والله تعالى الفعال لما يشاء.

وهو على ما يشاء قدير، وبالإحسان جدير.

---

(١) يرى الرازى أن آيات الإلهيات أشرف من غيرها، كما سيرد في الكتاب، وقلنا تعليقًا على ذلك: إن القرآن كله كلام الله، فكله شريف فليس فيه فاضل ومفضول، ويستحسن أن يقال إن لكل آية أو بعض آيات مجال معين أو مناسبة معينة. فالآيات الخاصة بالتوحيد غير الآيات الخاصة بالأحكام غير الآيات الخاصة بفضائل الأعمال وهكذا. لذلك طلب فى وصيته أن يقرأ على قبره آيات الإلهيات.

الفصل الثالث
مؤلفات الرازي

ذكرت المصادر أن كتب الرازى وصلت إلى مائتى مصنف، وقد عد الدكتور على محمد حسن العماري صاحب كتاب الإمام فخر الدين الرازي – حياته وآثاره أكثر من ثمانين كتابا هي :-

(١) مفاتيح الغيب . ويسمى «التفسير الكبير»، فى إثنين وثلاثين جزءا

(٢) تفسير سورة الفاتحة .

(٣) تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلي . مجلد .

(٤) شرح «وجيز» الغزالى . لم يتم . حصل منه العبادات والنكاح في ثلاث مجلدات .

(٥) كتاب الطريقة العلائية في الخلاف . أربع مجلدات .

(٦) كتاب لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات .

(٧) كتاب «المحصول» في علم أصول الفقه .

(٨) كتاب فى إبطال القياس .

(٩) شرح كتاب المفصل للزمخشرى في النحو . لم يتم

(١٠) شرح (سقط الزند) لأبى العلاء المعرى . لم يتم

(١١) شرح نهج البلاغة . لم يتم .

(١٢) كتاب فضائل الصحابة

(١٣) كتاب مناقب الإمام الشافعي .

(١٤) كتاب نهاية العقول في دراية الأصول . مجلدان .

(١٥) كتاب المحصل (فى علم الكلام) . مجلد .

(١٦) كتاب المطالب العالية (في علم الكلام) . ثلاث مجلدات . لم يتم – وهو أخر ما ألف .

(١٧) كتاب الأربعين فى أصول الدين .

(١٨) كتاب المعالم، واسمه « معالم أصول الدين » وهو آخر مصنفاته من الكتب الصغار . وهو مطبوع .

(١٩) كتاب تأسيس التقديس . مجلد . ألفه للسلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب، فبعث له عنه ألف دينار . وهو مطبوع تحت أسم « أساس التقديس » .

(٢٠) كتاب القضاء والقدر .

(٢١) رسالة الحدوث .

(٢٢) كتاب تعجيز الفلاسفة « بالفارسية »،

(٢٣) كتاب البراهين البهائية « بالفارسية » .

(٢٤) كتاب اللطائف الغياثية .

(٢٥) كتاب شفاء العي من الخلاف ، وفي بعض الكتب « شفاء العي والخلاف » .

(٢٦) كتاب الخلق والبعث .

(٢٧) كتاب الخمسين في أصول الدين .

(٢٨) كتاب عمدة النظار ، وزينة الأفكار .

(٢٩) كتاب الأخلاق .

(٣٠) كتاب الرسالة الصاحبية .

(٣١) كتاب الرسالة المجدية .

(٣٢) كتاب عصمة الأنبياء .

(٣٣) كتاب الملخص « ذكر ابن خلكان أنه في الحكمة » . وفى « عيون الأنباء » جـ٢ ص ١٨٥ أن شمس الدين اللبودى شرحه .

(٣٤) كتاب المباحث المشرقية .

(٣٥) كتاب الإنارات في شرح الإشارات .

(٣٦) كتاب لباب الإشارات « وهو تلخيص لكتاب الإشارات لابن سينا » .

(٣٧) شرح كتاب « عيون الحكمة »

(٣٨) الرسالة الكمالية في الحقائق الإلهية . ألفها بالفارسية لكمال الدين محمد بن ميكا ئيل، ونقلها إلى العربية الإمام العالم تاج الدين محمد الأرموى في سنة خمس وعشرين وستمائة بدمشق .

(٣٩) رسالة الجوهر الفرد .

(٤٠) كتاب الرعاية .

(٤١) كتاب في الرمل .

(٤٢) كتاب مصادرات إقليدس .

(٤٣) كتاب في الاختبارات السماوية، وفي بعض الكتب أن هذا الكتاب والكتاب الذى يليه .

(٤٤) الاختبارات العلائية .

كتاب واحد اسمه : « الاختبارات العلائية في التأثيرات السماوية » .

(٤٥) كتاب في الهندسة .

(٤٦) كتاب نفثة المصدور .

(٤٧) كتاب في ذم الدنيا .

(٤٨) كتاب إحكام الأحكام .

(٤٩) كتاب المرسوم في السر المكتوم. وقد ذكر ابن خلكان أن هذا الكتاب في «اللمسات»، وقال تاج الدين السبكي: (وأما كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم فلم يصح أنه له، بل قيل إنه مختلق عليه)

جـ٥ ص ٣٥ .. طبقات الشافعية الكبرى.

(٥٠) كتاب الرياض المونقة.

(٥١) رسالة في النفس.

(٥٢) رسالة فى النبوات.

(٥٣) كتاب الملل والنحل. منتخب

(٥٤) كتاب دنكلوشا.

(٥٥) كتاب مباحث الوجود.

(٥٦) كتاب نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز . مطبوع.

(٥٧) كتاب مباحث الحدود.

(٥٨) كتاب الآيات البينات. لم يتم. وصل فيه إلى الشكل الثانى أتمه تلميذه شمس الدين الخسر وشاهى. «من عيون الأنباء».

(٥٩) رسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم.

(٦٠) كتاب الجامع الكبير. لم يتم. ويعرف أيضًا بكتاب (الطب الكبير).

(٦١) كتاب مباحث الجدل .

(٦٢) كتاب في النبض . مجلد .

(٦٣) شرح كليات القانون . لم يتم، وألفه للحكيم ثقة الدين عبد الرحمن ابن عبد الكريم السرخسى

(٦٤) كتاب التشريح من الرأس إلى الحلق .

(٦٥) كتاب الأشربة .

(٦٦) مسائل في الطب .

(٦٧) كتاب الزبدة .

(٦٨) كتاب الفراسة .

(٦٩) كتاب البيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان .

(٧٠) كتاب المباحث العمادية في المطالب العادية .

(٧١) كتاب تهذيب الدلائل : وعيون المسائل .

(٧٢) كتاب أجوبة المسائل البخارية .

(٧٣) كتاب تحصيل الحق .

(٧٤) مختصر في الإعجاز .

(٧٥) مؤاخذة جيدة على النحاة .

(٧٦) أسرار التنزيل، وأنوار التأويل. وهو مخطوط، ومنه نسخة فى مجلد واحد في المكتبة الأزهرية.

(٧٧) كتاب سراج القلوب.

(٧٨) رسالة في السؤال.

(٧٩) مباحث الوجود والعدم.

(٨٠) كتاب المعالم في أصول الفقه، وهو غير المعالم فى أصول الدين.

(٨١) التنبيه على الأسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم. رسالة مخطوطة ضمن مجموعة بالمكتبة الأزهرية.

(٨٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (وهو الكتاب الذى نقوم بتحقيقه).

نص الكتاب المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم.

كتاب الفرق فى شرح أحوال المسلمين والمشركين

وهو على عشرة أبواب:

الباب الأول

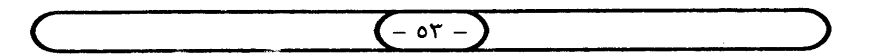
فى شرح المعتزلة

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

فى بيان ما يشترك فيه سائر فرق المعتزلة

اعلم أن المعتزلة متفقون على نفى صفات الله تعالى من العلم والقدرة. وعلى أن القرآن محدث ومخلوق. وأن الله تعالى ليس خالقاً لأفعال العبد.



الفصل الثانى

فى أنهم سموا المعتزلة

كان واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من تلامذة الحسن البصرى ولما أحدثا مذهبا وهو: أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر اعتزلا حلقة الحسن البصرى وجلسا ناحية فى المسجد. فقال الناس: إنهما اعتزلا حلقة الحسن البصرى فسموا معتزلة. لذلك قال القاضى عبد الجبار وهو رئيس المعتزلة: كلما ورد فى القرآن من لفظ الاعتزال عن الباطل فإن المراد منه الاعتزال عن الباطل فعلم ان اسم الاعتزال مدح. وهذا فاسد لقوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾[1]. فإن المراد من هذا الاعتزال هو الكفر.

(١) [سورة الدخان: آية ٢١].

الفصل الثالث

فى فرق المعتزلة

إعلم أنهم سبعة عشر فرقة :

الفرقة الأوالى: الغيلانية:

وهم أتباع غيلان الدمشقى. وهولاء يجمعون بين الاعتزال والإرجاء وغيْلان هذا هو الذى قتله هشام بن عبد الملك سابع خلفاء بنى مروان .

الفرقة الثاني: الوآصلية

وهم أتبـاع وَاصل بن عطاء الغـزَال ، وهو أول من قـال : إن الفـاسق ليس بمؤمن، ولا كـافـر، ولا منافق، ولا مـشـرك. ومن مـذهبـهـم: أن عليـا وطلحة رضى الله عنهما لو شهدا فى شئ واحد فشهادتهما غير مقبولة .

الفرقة الثالثة: العمرية

وهم اتباع عمرو بن عبيد .

ومن قولهم : إن شهادة طلحة والزبير غير مقبولة بوجه ما .

الفرقة الرابعة: الهزيلية

وهم أتبـاع أبى الهُزيل. ومن مـذهبـهـم: أن خـالقـيـة الله تعـالى قـد انتهت إلى حد لا يقدر أن يخلق شيأً آخر.

الفرقة الخامسة: النظامية

وهم أتباع ابراهيم بن سيار النظّام. ومن مذهبهم: أن العبد قادر على أشياء لايقدر الله تعالى على خلقها. والإجماع وخبر الواحد والقياس ليس بحجة عند هولاء. ولا يذكرون الصحابة ولا عليا رضى الله عنه بسوء.

الفرقة السادسة : الثمامية

وهم أتباع بن أشْرَس . وكان فى زمن المأمون– ومن مذهبهم: أن الفعل يصح من غير الفاعل.

الفرقة السابعة: البشرية

وهم أتباع بشر بن مُعَمَّر بن عُباد السامى. وهم يثبتون النفس الناطقة كما هو مذهب الفلاسفة، ويثبتون فى الجسم معانى غير متناهية.

الفرقة الثامنة:(١)

الفرقة التاسعة: المزدارية

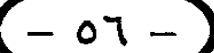
وهم أتباع أبى موسى بن عيسى بن مسيح المُزدار. وهو تلميذ بشر وأستاذ جعفر بن الحرث وجعفر بن المُبشر.

الفرقة العاشرة: الهشامية

وهم أتباع هشام بن عمرو القوطى. وقد كان يمنع من قول: حسبنا الله ونعم الوكيل . لأنه لا يجوز إطلاق اسم الوكيل على الله تعالى.

---

(١) هكذا فى الأصل



الفرقة الحادية عشرة: الجاحظية

وهم أتباع عمرو بن بحر الجاحظ. ومن قولهم: إن المعارف ضرورية.

الفرقة الثانية عشرة: الجبائية

وهم أتباع أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى. ومن مذهبهم: أنه يجوز أن يكون العرض الواحد فى حالة واحدة موجوداً ومعدوماً معا. والتزموا هذا من كلام الله تعالى.

الفرقة الثالثة عشرة:

الفرقة الرابعة عشرة: البهشمية

وهم أتباع أبى بهشم عبد السلام بن أبى على الجبائى. وهم يثبتون الحال. ويجوزون أن يعاقب الله تعالى العبد من غير أن يصدر عنه ذنب.

الفرقة الخامسة عشرة: الأحشدية

وهم أتباع أحشد بن أبى بكر تلميذ محمد بن عمر الصَيْمَرى. وهم يكفرون أبا هاشم وأتباعه.

الفرقة السادسة عشرة: الخياطية

وهم أتباع أبى الحسن عبد الرحيم الخياط. وهو أستاذ أبى القاسم الكَعْبى. وهم يقولون: إن الجسم فى العدم جسم حتى أنهم ألزموه أن يكون راكبا فرسا معدوما. فالتزم ذلك وجوزوه.



الفرقة السابعة عشرة: الحسينية

وهم أتباع أبى الحسين على بن محمد البصرى. وهو تلميذ القاضى عبد الجبار بن أحمد. ثم خالفه ونفى الحال والمعدوم والمعانى وجوز كرامات الأولياء، ونفى المريدية، وتوقف فى السمع والبصر.

ولم يبق فى زماننا من سائر فرق المعتزلة إلا هاتان الفرقتان أصحاب أبى هاشم وأصحاب أبى الحسين البصرى.



الباب الثاني

في شرح فرق الخوارج

سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً بالذنب وهم يكفرون عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم. ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

الفرقة الأولى: المحكمية

وهم الذين قالوا لعلي رضي الله عنه لما حكم الحاكمين: إن كنت تعلم أنك الإمام حقاً فلم أمرتنا بالمحاربة. ثم انفصلوا عنه بهذا السبب. وكفروا عليا ومعاوية رضي الله عنهما.

الفرقة الثانية: الأزارقة

وهم أتباع أبي نافع راشد بن الأزرق. ومن مذهبهم: أن قتل من خالفهم جائز.

الفرقة الثالثة: النجدات

وهم أتباع نجدة بن عامر النَخْعي. وهم يرون: أن قتل من خالفهم واجب. وأكثر الخوارج «بنجستان»[1] على مقالته.

الفرقة الرابعة: البيهسية

وهم أتباع أبي بيهس. ومذهبهم: أن من لايعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر.

(١) هكذا موجودة في الأصول ومعناها: يوافقون على مقالته.



الفرقة الخامسة: العجاردة

وهم أتباع عبد الكريم بن عَجرد. وعندهم: أن سورة يوسف ليست من القرآن لأنها فى شرح العشق، والعاشق، والمعشوق. ومثل هذا لا يجوز أن يكون(١) كلام الله تعالى.

الفرقة السادسة: الصلتية

وهم أتباع عثمن بن أبى الصَّلت. وعندهم: أن من دخل فى مذهبهم فهو مسلم. وإنما يحكمون باسلام الأطفال من حين بلوغهم.

الفرقة السابعة: الميمونة

وهم أتباع ميمون بن عمران- وهم يجوزون نكاح بناتهم ولايرون أن الشر من الله تعالى.

الفرقة الثامنة: الحمزية

وهم أتباع حمزة بن أدْرَك. وهم يقطعون: بأن أطفال الكفار فى النار.

الفرقة التاسعة: الخلفية

وهم أتباع خلف . وهم لا يرون أن الخير والشر من الله تعالى.

الفرقة العاشرة: الأطرافية

وهم يقولون: إن من لم يعلم أحكام الشريعة من أصحاب أطراف العالم. فهو معزور.

---

(١) كلمة يكون ساقطة من الأصل.

الفرقة الحادية عشرة: الشعيبية

أصحاب شعُيَب بن محمد . وهو يقولون إن العبد مكتسب ولا يقولون إنه موجد . غير أنهم يوافقون بقية الخوارج فيما عدا هذا من البدع .

الفرقة الثانية عشرة: الحازمية

وهم أصحاب حازم . وهم يقولون بالموافاة .

الفرقة الثالثة عشرة : الثعلبية

وهم أتباع ثعلب بن عامر . وهم يجوزون[1] ولاية الأطفال إلا إن ظهر منهم باطل فى وقت التكليف .

الفرقة الرابعة عشرة: الأخنسية

وهم أصحاب أخنس بن قيس . وهو يتبرأون من كل من لا يوافقهم و يسكن فى بلاد مخالنيهم .

الفرقة الخامسة عشرة: المعبدية

وهم أصحاب مَعْبَد . وهم لايجوزون نكاح كل إمراة تخالف الدين .

---

(١) [فى الأصل : « وهو ثعلب بن عامر وهم على » وما أثبتناه يفهم من السياق] .

الفرقة الساسة عشرة: الرشيدية

وهم يوجبون العشر فى المعشرات سواء كان السقى من السماء أو من الدالية.

الفرقة السابعة عشرة: المكرمية

وهم أصحاب مُكرم. وهم يقولون: إن تارك الصلاة كافر لا أنه ترك الصلاة بل لأنه جاهل بالله.

الفرقة الثامنة عشرة: المعلمية والمجهولية

أما المعلومية: فيقولون: من لم يعرف الله تعالى بسائر أسمائه فهو كافر. وأما المجهولية: فيقولو: إن معرفة جميع الأسماء ليست بواجبة.

الفرقة التاسعة عشرة : الأباضية

وهم أتباع عبدالله بن أباض. ظهر فى زمن مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية. وقتل عاقبة الأمر.

العشرون : الأصفرية

وهم أتباع زياد بن الأصفر. يجوزون التقية فى القول دون العمل.

الفرقة الحادية والعشرون: الحفصية

هم أتباع حفص بن أبى المقدام، يقولون: إن بين الإيمان والشرك خصلة أخرى. وهو معرفة الله تعالى.

الباب الثالث

الروافض

إنما سموا بالروافض: لأن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا فارس. فقال لهم: -أى زيد بن على- رفضتمونى؟. قالوا: نعم، فبقى عليهم هذا الإسم. وهم أربع طوائف: الزيدية. الإمامية. الكيسانية.

أما الزيدية- هم المنسوبون إلى زيد بن على زين العابدين-

فثلاث طوائف:

الأولى: الجارودية

اتباع أبى الجارود وهم يطعنون فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

الثانية: السلمانية

وهم أتباع سليمان بن جرير- وهم يعظمون أبا بكر وعمر. ويكفرون عثمان رضى الله عنه.

وأما الإمامية- فهم- فرق:

الأولى: يقولون: إن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا، بل المقتول جنى يرى فى صورة على. وصعد على إلى السماء وسينزل وسيجئ أبو بكر وعمر وينتقم منهما: ويزعمون أن الرعد صوت على

رضى الله عنه والبرق صوته. وهم إذا سمعوا صوت الرعد يقولون: عليك السلام ياأمير المؤمنين.

الثانية: الباقرية

وهم يقولون: إن الإمامية لما بلغت إلى محمد بن على الباقر حتمت عليه وهو لم يمت لكنه غائب.

الثالثة: الناموسية

وهم يقولون: إن جعفراً لم يمت. لكنه غائب وهو الإمام.

الرابعة: العمادية

وهم يقولون: إن الإمام بعد جعفر الصادق ولده موسى.

الخامسة: الشمطية

وهم يقولون: إن الإمام بعد جعفر الصادق ولده محمد بن جعفر.

السادسة: الاسماعلية

وهم يقولون: إن الإمام بعد جعفر الصادق، إسماعيل بن جعفر، ولكن لما مات إسماعيل فى حال حياة أخيه. عادت الإمامة إلى أخيه.

السابعة: المباركية

وهم يقولون: إن إسماعيل لما مات انتهت الإمامة إلى ولده محمد بن إسماعيل دون أخيه.

الثامنة: الممطورية

وهم قوم يقولون: إن موسى بن جعفر لم يمت بل هو غائب وإنما سموا بهذا الاسم لأنهم لما أظهروا هذه المقالة. قال لهم قوم: والله ما أنتم إلا كلاب ممطورة يعنى أنهم كالكلاب المبتلة من غاية ركاكة هذه المقالة.

التاسعة: القطعية

وهو يقطعون بدعوة موسى بن جعفر.

العاشرة: الموسوية

وهم الذين وقفوا على علَى بن موسى الرضا لما مات. ولم ينقلوا الإمامة إلى ولده.

الحادية عشرة: العسكرية

وهم قوم يعترفون بإمامة الحسن العسكرى.

الثانية عشرة: الجعفرية

يقولون: إن الإمامة انتقلت من الحسن العسكرى إلى أخيه جعفر.

الثالثة عشرة: أصحاب الانتظار

وهم الذين يقولون إن الإمام بعد الحسن العسكرى ولده محمد بن الحسن العسكرى وهو غائب وسيحضر.

وهو المذهب الذى عليه إمامية زماننا هذا. فإنهم يقولون: اللهم صل على محمد المصطفى وعلى المرتضى، وفاطمة الزهراء، وخديجة الكبرى، والحسن الزكى، والحسين الشهيد بكربلا، وزين العابدين،

ومحمد الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلى بن موسى الرضا، ومحمد بن على التقى، وعلى بن محمد النقى، والحسن بن على، ومحمد بن على العسكرى الإمام القائم المنتظر.

والإمامية يزعمون: أن المعصومين منهم أربعة عشر، وأن الأئمة اثنا عشر. وهم يكفرون الصحابة رضي الله عنهم ويقولون إن الخلق قد كفروا بعد النبى -عليه السلام- إلا عليا وفاطمة والحسن والحسين والزبير وعمارا وسلمان وأبا ذر ومقداداً وبلالا وصهيْبا.

وهذا الذى ذكرناه فى الإمامية قطرة من بحر لأن بعض الروافض قد صنف كتابا وذكر فيه ثلاثا وسبعين فرقة من الإمامية. وأما الغلاة منهم فهم فرق كثيرة:

الفرقة الأولى: السبابية

وهم أتباع عبد الله بن سبا. وكان يزعم أن عليا هو الله تعالى. وقد أحرق على رضي الله عنه منهم جماعة. وقال:

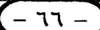
إنى إذا رأيت أمراً منكراً … أججت ناراً ودعوت قنبرا.

الثانية: البنانية

أصحاب بنان بن إسماعيل الهندى. ويزعمون: أن الله تعالى حل فى على رضي الله عنه وأولاده. وأن أعضاء الله تعالى تعدم كلها ما خلا وجهه لقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾(1).

---

(1) [سورة الرحمن: آية ٢٦، ٢٧].



الثالثة: الخطابية

وهم يزعمون: أن الله تعالى حل فى على ثم فى الحسن ثم فى الحسين ثم زين العابدين ثم فى الباقر ثم فى الصادق، وتوجه هولاء إلى مكة فى زمن جعفر الصادق. وكانوا يعبدونه.

فلما سمع الصادق بذلك أبلغ ذلك أبا الخطاب وهو رئيسهم. فزعم أن الله تعالى قد انفصل عن جعفر- وحل به- وأنه هو أكمل من الله تعالى، ثم إنه قتل.

الرابعة: المغيرية

أتباع مغيرة بن سعيد العجلى. ادعى الإلهية، ثم أحرقوا بالنفط والنار.

الخامسة: المنصورية

أتباع أبى منصور العجلى، وكانوا على مقالة المغيرية، وزادوا عليهم بأن أباحوا الزنا واللواطة، ثم إنهم قتلوا.

السادسة: الجناحية

اتباع عبدالله بن الجناحين. كانوا يزعمون: أن المعرفة إذا حصلت، لم يبق شئ من الطاعات واجبة.

السابعة: المفوضية

وهو قوم يزعمون: أن البارى تعالى خلق روح على وأرواح أولاده وفوض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسموات.



قالوا ومن ههنا قلنا فى الركوع سبحان ربى العظيم. وفى السجود سبحان ربى الأعلى، لأن الإله هو على وأولاده. وأما الإله الأعظم فهو الذى فوض إليهم العالم.

الثامنة: الغرابية

قالوا على بمحمد أشبه من الغراب بالغراب وقالوا: إن الله تعالى أرسل جبريل إلى على. فغلط جبريل وأدى الرسالة إلى محمد لتأكد المشابهة بين على ومحمد -عليه السلام-.

التاسعة: (١)

وهم يزعمون أن جبريل -عليه السلام- أزاغ الرسالة عن على إلى محمد عمداً وقصداً، لا غلطاً وسهواً وهولاء يسيؤن القول فى جبريل -عليه السلام-.

العاشرة: العلبائية

وهم يزعمون أن جبريل -عليه السلام- أزاغ الرسالة إلى على لكن محمداً كان أكبر سناً من على فاستعان على به، ثم إن محمداً استقل بالأمر ودعى الخلق إلى نفسه، وهولاء يسيؤن القول فى النبى ﷺ.

الحادى عشرة: الكاملية

وهم أتباع أبى الكامل. وهم يزعمون: أن الصحابة كلهم كفروا لما فوضوا الخلافة إلى أبى بكر. وكفر على أيضاً حيث لم يحارب أبا بكر.

---

(١) هكذا فى الأصل.

الثانية عشر: النصرية

ويزعمون: أن الله تعالى كان يحل فى على فى بعض الأوقات وفى اليوم الذى قلع على باب خيبر كأن الله تعالى قد حل فيه.

الثالثة عشر: الإسجافية

وهم على هذه المقالة. وهذه الطائفة باقية فى حلب وفى نواحى الشام إلى يومنا هذا

الرابعة عشرة: الأزلية

وهم يزعمون أن عليا قديم أزلى، وكذلك عمر بن الخطاب أيضاً قديم أزلى. إلا أن عليا كان خيرًا محضاً وعمر شرًا محضاً، وكان يؤذى عليا دائماً، وكأنهم اقتبسوا هذه المقالة من المجوس.

الخامسة عشرة: الكيالية

أتباع أحمد الكيال الملحد. وقد كان ضالاً مضلاً، وقد صنف كتبا فى الضلالة والترهات.

الكيسانية

وهم الذين يقولون إن الإمامة كانت حقاً لمحمد بن الحنفية وهولاء الطائفة يفترقون فرقاً.

الأولى: الكربية

أتباع أبى كرب الضرير، وهم يزعمون: أن الإمام من بعد على هو

محمد بن الحنفية وهو حى لم يمت ومأواه رضوى. وعن يمينه أسد وعن يسارة نمر. وكان السيد الحميرى الشاعر وكثير الشاعر على هذا الرأى.

الثانية: المختارية

أتباع مختار بن أبى عبيد الثقفى. وهم يقولون: إن الإمام بعد الحسين هو محمد بن الحنفية. ثم زعم المختار أنه نائب محمد ودعى الخلق إلى الضلالة. وأراد محمد أن يقصد نحوه ويمنعه عن ذلك، فلما علم المختار أنه يريد قصده صعد المنبر وقال: يا قوم قد ذكر: أن إمامكم قد قصد نحوكم. ومن إمارات الإمام أن لا يؤثر فيه السيف، فإذا أتى فجربوا هذا. فلما بلغ ذلك محمداً وأنه قد قصد بذلك قتله هرب.

الثالثة: الهاشمية

وهم يزعمون: أن الإمام بعد محمد هو أبو هاشم عبدالله بن محمد. وهم يقولون إنه مات وأوصي بالخلافة إلى محمد بن على بن عبدالله بن العباس.

ولما بلغ هولاء القوم إلى خرسان، ودعوا الخلق إلى هذه المقالة كان أبو مسلم صاحب الدعوة حاضراً.فقبل تلك الدعوة.

ولا جرم أنه لما استفحل أمره، دعا الخلق إلى بنى العباس، وانتزع الخلافة من بنى أمية وجعلها فيهم.

الرابعة: الروندية

أتباع أبى هديدة الروندى. وهم يزعمون: أن الإمامة كانت أولاً حقاً للعباس.

وفرق الكيسانية كثيرة. وفى هذا القدر الذى ذكرناه كفاية.

الباب الرابع

[فى المشبهة]

اعلم: أن اليهود أكثرهم مشبهة. وكان بدو ظهور التشبيه فى الإسلام من الروافض مثل بنان بن سمعان الذى كان يثبت لله تعالى. الأعضاء والجوارح، وهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقى، ويونس بن عبد الرحمن القمى وأبو جعفر الأحول الذى كان يدعى شيطان الطاق.

وهولاء رؤساء علماء الروافض، ثم تهافت فى ذلك المحدثون ممن لم يكن لهم نصيب من علم المعقولات. ونحن نذكر فرقهم على الترتيب.

الحكمية.

وهم أصحاب هشام بن الحكم. وكان يزعم أن الله تعالى جسم، وغير مذهبه فى سنة واحدة عدة تغييرات. فزعم تارة: أن الله تعالى كالسبيكة الصافية. وزعم مرة أخرى: أنه كالشمع الذى من أى جانب نظرت إليه كان ذلك الجانب وجهه. واستقر رأيه عاقبة الأمر على أنه سبعة أشياء، لأن هذا المقدار أقرب إلى الاعتدال من سائر المقادير.

الثانية: الجواليقية

أتباع هشام بن سالم الجواليقى الرافضى. وهم يزعمون: أنه تعالى ليس بجسم لكن صورته صورة الآدمى، وهو مركب من اليد والرجل والعين، لأن أعضاءه ليست من لحم ولا دم.

الثالثة: اليونسية

وهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى. وهم يزعمون أن النصف الأعلى من على من الله مجوف. وأن النصف الأدنى منه مصمت.

الرابعة: الشيطانية

أتباع شيطان الطاق. وهم يزعمون: أن البارى تعالى مستقر على العرش والملائكة يحملون العرش. وهم وإن كانوا ضعفاء بالنسبة إلى الله تعالى. لكن الضعيف قد يحمل القوى كرجل الديك التى تحمل مع دقتها جثة الديك.

الخامسة: الحوارية

أصحاب دواد الحوارى. وهو يثبت الأعضاء والحركة والسكون والسعى لله تعالى. كان يقول سلونى عن شرح سائر أعضائه تعالى ماعدا شرح فرجه ولحيته.

فصل

اعلم أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله واسحق بن راهوية ويحي بن معين. وهذا خطأ. فإنهم منزهون فى اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل. لكنهم كانوا لا يتكلمون فى المتشابهات بل كانوا يقولون: آمنا وصدقنا مع أنهم كانوا يجزمون بأن الله تعالى لا شبيه له وليس كمثله شيء.

ومعلوم أن هذا الاعتقاد بعيد جداً عن التشبيه.



الباب الخامس

فى فرق الكرامية

وهم أتباع أبى عبد الله محمد بن كرام وكان من زهاد سجستان . واغتر جماعة بزهده ثم أخرج هو وأصحابه من سجستان . فسارو حتى انتهو إلى غرجة . فدعوا أهلها إلى اعتقادهم، فقبلوا قولهم .

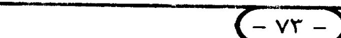
وبقى ذلك المذهب فى تلك الناحية . وهم فرق كثيرة على هذا التفصيل .

الطرايقة . الاسحاقية . الحماقية . العابدية . اليونانية . السورمية . الهيصمية .

وأقربهم الهيصمية . وفى الجملة فهم كلهم يعتقدون : أن الله تعالى جسم، وجوهر، ومحل للحوادث . ويثبتون له جهة ومكاناً .

إلا أن العابدية يزعمون : أن البعد بينه وبين العرش متناه . والهيصمية يقولون : إن ذلك البعد غير متناه . ولهم فى الفروع أقوال عجيبة . ومدار أمرهم على المخرقة والتزوير وإظهار التزهد .

ولأبى عبدالله بن كرام تصانيف كثيرة إلا أن كلامه فى غاية الركة والسقوط .



الباب السادس

فى فرق الجبرية

وهم يزعمون : أن العبد ليس قادراً على فعله . والمعتزلة يسمون أصحاب هذا الرأى : الجبرية والمجبرة . وهذا خطأ . لأنا لا نقول : إن العبد ليس بقادر . بل نقول : ليس خالقا .

الفرقة الأولى من الجبرية: الجهمية

أصحاب جهم بن صفوان . وكان رجلاً من ترمد . وكان من قوله : إن العبد ليس قادراً البتة . وكان يقول : إن الله تعالى محدث . ولم يطلق على الله تعالى اسم الموجود والشئ .

الثانية: النجارية

وهم أتباع حسين بن محمد النجار . وهم يوافقون المعتزلة فى مسائل الصفات والقرآن والرؤية . ويوافقون الجبرية فى خلق الأعمال والاستطاعة . وهولاء فرق كثيرة :

البرعوسية . والزعفرانية . والمستدركية . والحفصية .

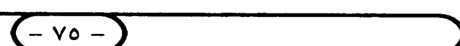
الثالثة: الضرارية

وهم أتباع ضرار بن عمرو الكوفى . وكان فى بدو أمره تلميذاً

لواصل بن عطاء ثم خالفه في خلق الأعمال، وإنكار عذاب القبر، ثم زعم أن الإمامة بغير القرشيين أولى منها بالقرشي.

الرابعة: البكرية

وهم أتباع بكربن أخت عبد الواحد. وهم يزعمون: أن الأطفال والبهائم لا يحسون بالألم. وهذا الكلام على خلاف ما عرف بضرورة العقل.



الباب السابع

فى المرجئية

[وهم فرق]

الأولى:

أتبـاع يونس بن عـون. وهم يقـولون: إن الإيمان لايقـبل الزيادة والنقصان.

الثانية: الغسانية

أتباع الحرمى. وهم يقولون: إن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصان. وكل قسم من الإيمان فهو إيمان.

الثالثة: اليومية

وهم يزعمـون: أنه لا يضر مع الإيمان معصـيـة وأن الله تعـالى لا يعذب الفاسقين من هذه الأمة.

الرابعة الثوبانية

أتباع ثوبان بن[1]. وهم يزعمون: أن العصاة من المسلمين يلحقهم على الصراط شئ من حرارة جهنم لكنهم لا يدخلون جهنم أصلاً[2].

---

(١) [يبدو أن الكلام فيه سقط].

(٢) [مذهبهم هذا لا دليل عليه].

الخامسة: الخالدية

أتباع خالد . وهم يقولون : إن الله تعالى يدخل العصاة نار جهنم لكنه لا يتركهم فيها بل يخرجهم ويدخلهم الجنة .

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فى هذا الباب . فهو أنا نقطع بأن الله تعالى سيعفو عن بعض الفساق لكنا لا نقطع على شخص معين من الفساق : بأن الله لابد وأن يعفو عنه . ونعلم أنه لا يعاقب أحداً من الفساق دائماً .



الباب الثامن

فى أحوال الصوفية

اعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية. وذلك خطأ. لأن حاصل قول الصوفية: لأن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية. وهذا طريق حسن وهم فرق:

الأولى : أصحاب العادات

وهم قوم منتهى أمرهم وغايته: تزيين الظاهر كلبس الخرقة وتسوية السجادة،

الثانية: أصحاب العبادات

وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة. مع ترك سائر الأشغال.

الثالثة: أصحاب الحقيقة

وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية. وهم يجهتدون أن لا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى. وهولاء خير فرق الآدميين.

الرابعة: النورية

وهم طائفة يقولون: إن الحجاب حجابان: نورى ونارى. أما

النورى: فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة كالتوكل، والشوق، والتسليم، والمراقبة، والأنس، والوحدة، والحالة.

أما النارى: فالاشتغال بالشهوة والغضب، والحرص، والأمل، . لأن هذه الصفات نارية كما أن إبليس لما كان ناريا، فلا جرم وقع فى الحسد.

الخامسة: الحلولية

وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون فى أنفسهم أحوالا عجيبة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر. فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الأتحاد. فيدعون دعاوى عظيمة.

وأول من أظهر هذه المقالة فى الإسلام: الروافض. فإنهم ادعوا الحلول فى حق أئمتهم.

السادسة: المباحية

وهم قوم يحفظون طاعات لاأصل لها، وتلبيسات فى الحقيقة، وهم يدعون محبة الله تعالى. وليس لهم نصيب من شئ من الحقائق بل يخالفون الشريعة.

ويقولون: إن الحبيب رفع عنه التكليف وهم الأشر من الطوائف وهم على الحقيقة على دين مزدك كما سنذكر بعد هذا.

ذكر بعض الفرق الإسلامية

سؤال : فإن قيل إن هذه الطوائف التى عددتهم أكثر من ثلاث وسبعين ورسول الله عليه السلام لم يخبر بأكثر. فكيف ينبغى أن يعتقد فى ذلك.

والجواب عن هذا : أنه يجوز أن يكون مراده عليه السلام من ذكر الفرق، الفرق الكبار. وما عددناه من الفرق العظيمة.

وأيضاً : فإنه أخبر أنهم يكونون على ثلاث وسبعين فرقة لم يجز أن يكونوا أقل. وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك.

كيف ولم نذكر فى هذا المختصر كثيراً من الفرق المشهورة. ولو ذكرناها كلها مستقصاة لجاز أن يكون أضعاف ما ذكرنا. بل ربما وجد فى فرقة واحدة من فرق الروافض وهم الإمامية –ثلاث وسبعون فرقة–. ولما أشرنا إلى بعض الفرق الإسلامية فلنشر إلى بعض الفرق الخارجة عن الإسلام.

الباب التاسع

فى الذين يتظاهرون بالاسلام. وان لم يكونوا مسلمين

وفرق هؤلاء كثيرة جداً. إلا أننا نذكر الأشهر منهم:

فالفرقة الأولى: الباطنية

اعلم: أن الفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفى أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار. وهم عدة فرق. ومقصودهم على الإطلاق إبطال الشريعة بأسراه ونفى الصانع. ولا يؤمنون بشئ من الملل. ولا يعترفون بالقيامة إلا أنهم لا يتظاهرون بهذه الأشياء إلا بالآخرة.

ونحن نشير إلى ابتداء أمرهم فنقول: نُقل أنه كان رجل أهوازى يقال له عبدالله بن ميمون القداح، وكان من الزنادقة. فذهب إلى جعفر الصادق، وكان فى أكثر الأوقات فى خدمة ولده إسماعيل. فلما مات إسماعيل لزم خدمة ولده محمد بن إسماعيل ثم أنه سافر مع محمد بن إسماعيل إلى مصر فمات محمد بن إسماعيل- ولم يكن له ولد إلا أن جاريته كانت حملت منه. وكان لعبدالله بن ميمون أيضاً جارية قد حملت منه فقتل عبدلله جارية محمد بن إسماعيل. فلما ولدت الجارية. قال الناس: إنه قد ولد لمحمد بن إسماعيل ابن ولما كبر الإبن، علمه الزندقة وقال للناس: إن الإمامة صارت من محمد إلى إبنه هذا.

وقد وجب- عليكم طاعته- وساعده على ذلك بقية من أولاد ملوك العجم من المجوس لما كان فى قلوبهم من عداوة الدين للمسلمين، وأضلوا بذلك خلقا كثيرا.

واستولى من ذلك القبيل جماعة من المغرب ومصر واسكندرية. وانتشرت دعاويهم فى البلاد وأول تملك منهم بمصر المهدى ثم القائم. ثم لما كان فى زمن المنتصر سار إليه الحسن بن صباح وأخذ منه إجازة الدعوة، ورجع إلى بلاد العجم وأضل خلقاً كثيرا. وإن كانت شجرة ملوك مصر قد انقطعت فى زماننا إلا أن فتنة الحسن بن صباح قائمة بعد. ولنشرع فى ذكر بعض فرقهم:

الأولى: الصباحية

وهم اتباع الحسن بن صباح. واعتمادهم فى سائر المسائل على هذه النكتة. وهى أن العقل إن كان كافياً فليس لأحد أن يعترض الآخر.

وإن لم يكن كافياً فلابد من إمام.

والجواب أن نقول: إن كان العقل غير محتاج إليه. فكيف يميز المحق من المبطل بينهم. وإن كان محتاجاً إليه فلابد حاجة إلى الإمام.

ثم نقول: هب أن الإمام محتاج إليه. فأين ذلك الإمام. ومن هو. لأن الذى ينصون عليه بالإمامة فى غاية الجهل لأن أمراء مصر الذين كانوا دعاة الباطنية كان أكثرهم جُهَّالا فساقا.

الثانية: الناصرية

وهم أتباع ناصر بن خسرو. وقد كان شاعرا وضل بسببه خلق كثير.

الثالثة: القرامطية

أتباع حمدان القرمطي. وكان رجلا متواريا صار إليه أحد دعاة الباطنية ودعوه إلى معتقدهم فقبل الدعوة. ثم صار يدعو الناس إليها وضل بسببه خلق كثير. واجتمع منهم قوم وقطعوا الطريق على الحج وقتلوهم وأرادوا أن يخربوا مكة. فدفع الله تعالى شرهم. قتلوا عاقبة الأمر.

الرابعة: البابكية

أتباع بابك. وهو رجل من أذربانجان. اشتدت شوكته على طول الدهر. وأظهر الإلحاد، واجتمع عليه خلق كثير. وكان في زمن المعتصم وأسروه بعد محاربات عظيمة واندفع شره.

الخامسة: المقنعية

أتباع مقنع وكان من أصحاب أبي مسلم صاحب الدعوة. وادعى بعده النبوة، وعظم أمره، واجتمع عليه خلق كثير، ثم ادعى الألوهية وقتل عاقبة الأمر.

السادسة: السبعية

وهم يقولون: إن الدور التام سبعة بدليل: أن السموات والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبع، والأعضاء سبع.

ثم قالوا والدور التام للأنبياء أيضا سبعة فالأول آدم عليه السلام ووصيه شيث.

والثاني: نوح ووصيه سام.

والثالث: إبراهيم عليه السلام ووصيه اسماعيل وإسحق.

الرابع: موسى عليه السلام ووصيه هارون.

الخامس: عيسى ووصيه شمعون.

السادس: محمد صلى الله عليه وسلم ووصيه على رضي الله عنه. والإمام الأول على والثانى الحسن والثالث الحسين والرابع زين العابدين والخامس محمد الباقر والسادس جعفر الصادق والسابع اسمعيل بن جعفر.

والمقصود من البعثة والرسالة هو أن يلحق الجثمانيون من نوع الإنس بالروحانيين. فلما انتهت النبوة من الإبن إلى محمد بن إسمعيل ارتفع التكليف الظاهر من الناس.

فبهذا الطريق يخرجون الخلق من الشريعة. وعلى الحقيقة: إن جميع ما يذكرون من هذا الجنس فإنما يذكرونه من طريق التلبيس. وذلك بأنهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بالإمام. ولكنهم يضلون الخلق بهذا الطريق.

الباب العاشر

فى شرح الفرق الذين هم خارجون على الاسلام با لحقيقة وبالإسم وهذا الباب مرتب على ستة فصول:

الفصل الأول

فى شرح فرق اليهود

وهم متفقون على أن النسخ غير جائز. وكلهم يؤمنون بموسى عليه السلام وهارون ويوشع وأكثرهم يؤمنون بالأنبياء الذين جاءوا بتقرير شرع موسى عليه السلام. وبعضهم ينكر ذلك.

والأغلب عليهم التشبيه وهم فرق كثيرة. إلا أنا نذكر الأشهرين منهم:

الأولى: العنانية

أتباع عنان بن داود. ولا يذكرون عيسى بسوء، بل يقولون: إنه كان من أوليا الله تعالى، وإن لم يكن نبيا. وكان قد جاء لتقرير شرع موسى عليه السلام. والإنجيل ليس بكتاب له، بل الإنجيل كتاب جمعه بعض تلاميذه.

الثانية: العيسوية

أتباع أبى عيسى بن يعقوب الأصفهانى. وهم يثبتون نبوة محمد ﷺ. ويقولون هو رسول الله إلى العرب لا إلى العجم ولا إلى بنى إسرائيل.

الثالثة: المعادية

أتباع رجل من همدان. وهم في اليهود كالباطنية في المسلمين.

الرابعة: السامرية

وهم لا يؤمنون بنبي غير موسى وهارون. ولا بكتاب غير التوراة. وما عداهم من اليهود يؤمنون بالتوراه وغيرها من كتب الله تعالى، وهى خمس وعشرون كتابا ككتاب اشعيا وارميا وحزقيال.

الفصل الثانى

فى شرح أحوال النصارى

وهم فرق عظيمة. منهم خمس:

الملكانية:

وهم يقولون: إن اتحاد الله تعالى بعيسى كان باقياً حالة صلبة.

الثالثة: اليعقوبية

وهم يقولون إن روح البارى اختلط ببدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء باللبن.

الرابعة: الفرفوريوسية

وهم أتباع فرفوريوس الفيلسوف، وقد أخرج أكثر دين النصارى على قواعد الفلسفة.

الخامسة: الأرمنوسية

يقولون إن الله تعالى دعا عيسى ابنا على سبيل التشريف.

الفصل الثالث

فى فرق المجوس

الأولى: الرزادشتية[1]

أتبــاع زرادشت . وهو رجل من أهل أذربيــجــان . ظهــر فى أيام بشتاسف بن لهراسف[2] . وادعى النبوة . فآمن به بشتاسف .

وأظهر اسبنديار بن بشتاسف دين زرادشت فى العالم . وبين المجوس خلاف كثير إلا أن الكل يتفقون على أن الله تعالى حارب مع الشيطان ألوف سنين . ولما طال الأمر توسطت الملائكة بينه وبين الشيطان على أن الله تعالى يسلم العالم إلى الشيطان سبعة آلاف سنة يحكم ويفعل ما يريد . وبعد ذلك عهد أن يقتل الشيطان . ثم أخذت الملائكة سيفيهما منهما وقرروا بينهما : أنه من خالف منهما ذلك العهد قتل بسيفه .

وكان هذا الكلام غير لائق بالعقلاء . لكن المجوس متفقون على ذلك .

---

(١) [هكذا فى الأصول، ولا يوجد فرق أخر بعد الأولى] .

(٢) والمصادر الزرادشتية تذكر أن زرادشت اختير نبياً حوالي عام ١٧٥٠ ق.م. وكان عمره آنذاك أربعين سنة . فتكون ولادته قد حصلت عام ١٧٩٠ ق.م.

أما المصادر الإسلامية فتقول : إن زرادشت كان قد ظهر قبل الإسكندر الأكبر . بمائتين وثمانية وخمسين عاماً . فإذا أضفنا إليها زمان الإسكندر ٣٣٠ ق.م. وأربعين سنة كانت قد مضت من عمر زرادشت قبل ظهور أمره . فإن هذا يعني أن زرادشت ولد في الربع الأخير من القرن السابع قبل الميلاد . أي حوالي ٦٣٠ ق.م. ولما كانت المصادر تجمع علي أن عمره كان أثنين وسبعين أو سبعة وسبعين عندما قتل . فإن ذلك يعني أن "زرادشت" عمر حتي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . .

أما المصادر اليونانية فإنها متضاربة ولا تكاد تذكر تاريخاً دقيقاً لظهور زرادشت، وتتردد في التاريخ له بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد .

لكن معظم المؤرخين قبلوا التاريخ الذي ذكره العلماء المسلمون واعتبره بعضهم تاريخاً دقيقاً . .

الفصل الرابع

فى الثنوية[1]

وهم أربع فرق

الفرقة الأولى: المانوية

أتباع مانى. وقد كان رجلانقاشا خفيف اليد ظهر فى زمن سابور ابن ازدشير بن بابك، وادعى النبوة وقال إن للعالم أصلين:

نور، وظلمة– وكلاهما قديمان. فقبل سابور قوله. فلما انتهت نوبة الملك إلى بهرام أخذ مانى وسلخه وحشا جلده تبنا وعلقه. وقتل أصحابه إلا من هرب والتحق بالصين ودعوا إلى دين مانى فقبل أهل الصين منهم. وأهل الصين إلى زماننا هذا على دين مانى.

الثانية: الديصانية

وهم يقولون بالنور والظلمة أيضاً. والفرق بينهم وبين المانوية يقولون: إن النور والظلمة حيان والديصانية يقولون بأن النور حى والظلمة ميتة.

الثالثة: المرثونية

وهم يثبتون متوسطاً بين النور والظلمة. ويسمون ذلك المتوسط المعدل.

---

(١) [فى الأصل: فصل في الثنوية– وما أثبتناه يفهم من ترتيب الكتاب فقبله الفصل الثالث، وبعده الفصل الخامس، فكان ذلك هو الفصل الرابع].

الرابعة: المزدكية

أتباع مزدك بن نامدان كان موبذ موبذان فى زمن قباذ بن فيروز والد أنو شروان العادل . ثم ادعى النبوة وأظهر دين الإباحة . وانتهى أمره إلى ان ألزم قباذ إلى أن يبعث امرأته ليمتع بها غيره . فتأذى أنوشروان من ذلك الكلام غاية التأذى .

وقال لوالده : اترك بينى وبينه لأناظره . فإن قطعنى طاوعته وإلا قتلته .

فلما ناظر مع أنوشروان انقطع مزدك وظهر عليه أنوشروان فقتله وأتباعه . وكل من هو على دين الإباحة فى زماننا هذا . فهم بقية أولئك القوم .



الفصل الخامس

فى الصابئة(١)

قوم يقولون إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم. فهم عبدة الكواكب. ولما بعث اله إبراهيم عليه السلام كان الناس على دين الصابئة(٢) فاستدل إبراهيم عليه السلام عليهم فى حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه فى قوله: ﴿ **لا أُحِبُّ الآفِلِينَ** ﴾(٣).

واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين. لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صورا ومثلا. فصنعوا أصناما واشتغلوا بعبادتها فظهر من ههنا عبادة الكواكب.

---

(١) [فى الأصل: الصبائية].

(٢) [فى الأصل: الصبئية].

(٣) [سورة الأنعام: ٧٦].

الفصل السادس

فى أحوال الفلاسفة

مذهبهم: أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب وليست فاعلة بالاختيار. وأكثرهم ينكرون علم الله تعالى وينكرون حشر الأجساد وكان أعظمهم قدرا ارسطاليس وله كتب كثيرة.

ولم ينقل تلك الكتب أحد أحسن مما نقله الشيخ الرئيس أبو على بن سينا الذى كان فى زمن محمود بن سبكتكين.

وجميع الفلاسفة يعتقدون: فى تلك الكتب اعتقادات عظيمة. وكنا نحن فى ابتداء اشتغالنا بتحصيل علم الكلام تشوقنا إلى معرفة كتبهم لنرد عليهم فصرفنا شطراً صالحاً من العمر فى ذلك.

حتى وفقنا الله تعالى فى تصنيف كتب تتضمن الرد عليهم ككتاب نهاية العقول، وكتاب المباحث المشرقية، وكتاب الملخص، وكتاب شرح الإشارات، وكتاب جوابات المسائل النجارية، وكتاب البيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان،وكتاب المباحث العمادية فى المطالب المعادية، وكتاب تهذيب الدلائل فى عيون المسائل، وكتاب إشارة النظار إلى لطائف الأسرار.

وهذه الكتب بأسراها تتضمن شرح أصول الدين وإبطال شبهات الفلاسفة وسائر المخالفين. قد اعترف الموافقون والمخالفون أنه لم يصنف أحد من المتقدمين والمتأخرين مثل هذه المصنفات.

وأما المصنفات الأخر التى صنفناها فى علم آخر. فلم نذكرها هنا. ومع هذا فإن الأعداء والحساد لا يزالون يطعنون فينا وفى ديننا مع ما بذلنا من الجد والاجتهاد فى نصرة اعتقاد أهل السنة والجماعة.

ويعتقدون أنى لست على مذهب أهل السنة والجماعة. وقد علم العالمون: أنه ليس مذهبى ولا مذهب أسلافى إلا مذهب أهل السنة والجماعة. ولم تزل تلامذتى ولا تلامذة والدى فى سائر أطراف العالم يدعون الخلق إلى الدين الحق والمذهب الحق.

وقد أبطلوا جميع البدع. وليس العجب من طعن هؤلاء الأضداد الحساد بل العجب من الأصحاب والأحباب كيف قعدوا عن نصرى والرد على أعدائى.

ومن المعلوم أنه لا يتيسر شئ من الأمور إلا بالمعاونة والمساعدة. ولو أمكن ذلك من غير مساعدة لما كان كليم الله موسى عليه السلام بن عمران أن من حججه الباهرة وبراهينه القاهرةيقول مخاطبًا للرب سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾(١).

يسر الله لنا ولكم التوفيق إلى الخيرات وصاننا عما يكون فى الدنيا والعقبى سببا لاستحقاق العقوبات بمنه ولطفه والسلام.

والحمد لله وحده وصلواته على النبى المصطفى محمد وآله وصحبه وسلم.

تمت الرسالة والحمد لله وحده

---

(١) [سورة القصص: آية ٣٤].

الفهرس